مجلة
جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية
مجلة-علمية-محكمة- تصدر عن جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية(١٥)(٢٠١٩/١٠) ISSN:٢٦١٧-٥٨٩٤

لغة التواصل غير اللفظية في الحديث النبوي الشريف

"دراسة دلالية نسقية"

د. حسين عبد الله الموساي

نائب رئيس جامعة إقليم سبأ
للدراسات العليا والبحث العلمي

ملخص البحث:

هذا البحث يتناول طرق التواصل غير اللفظي عند الرسول ﷺ كإشارة اليد، وإيماءة الرأس، وتغير قسمات الوجه.. إلى غير ذلك.

ويتمحور حول: الدلالات المستفادة من ذلك، والفوائد المضافة إلى المعنى العام، واستكناه بعض جوانب دلالة الفصاحة النبوية في هذا المضمار، ومحاولة معرفة أسباب إيثار النبي ﷺ لوسيلة التواصل الجسدي أو مضافة إلى التواصل اللفظي، أو بديلاً عنه.

يهدف هذا البحث إلى:

١. إيضاح طرق التواصل غير اللفظي عند النبي ﷺ.
٢. استنباط الدلالات الإضافية المستفادة من استعمال الرسول ﷺ لبعض وسائل التواصل غير اللفظية.
٣. معرفة أسباب إيثار النبي ﷺ لوسيلة التواصل الجسدي مضافة إلى التواصل اللفظي، أو بديلاً عنه.
٤. استكناه بعض جوانب الفصاحة النبوية في طرق تواصله غير اللفظية.

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، مستعيناً ببعض المواقف التاريخية المتصلة بالمنهج التاريخي.

كلمات مفتاحية:

التواصل إشارة اليد وسائل تواصل استعملها النبي

The Abstract

This research deals with the ways of body language communication of the prophet Mohammed (peace and praying be upon him) for example, the hand's gesture, the head's nodding, the facial expressions ……etc.

This research concentrates on the significance of this nonverbal connotation and the adding benefits of that kind of body language to the general meaning of the message of the Prophet, Mohamed wants to deliver. It also highlights some perspectives of eloquence significances of the Prophet, Mohammed, (peace and praying be upon him) in this aspect, and it looks for the causes that stand behind the prophet, Mohammed' s preference in selecting the physical body language only or the addition of the physical body language to his speech or the total replacement of verbal speech by the body language.

The research aims at :

- Explaining the ways of the Prophet, Mohammed' s body language communication.
- Eliciting the additional benefits of eloquence significances from some body language ways used by the Prophet's Mohammed.
- Finding out the causes of preference in using the physical body language with the prophet, Mohammed' s verbal speech or the total replacement of his speech by physical body language.
- Eliciting and inferencing some aspects of the Prophet, Mohammed's eloquence in his ways of using the physical body language.

Keywords:

Communication the hand's gesture

language ways used by the Prophet

مقدمة:

اللغة الإنسانية – وفق رأي طائفة من الباحثين- بدأت نظاماً غير صوتي من العلامات الإيمائية، ثم تحول الإنسان عنه تدريجياً إلى اللغة المنطوقة. غير أنه من المؤكد تلازم التواصل بين جانبي اللغة: الحركي واللفظي، وتكاملهما؛ إذ يكتسب الإنسان اللغة في مراحل عمره المختلفة.

واللغة المنطوقة ليست مسألة فطرية بحتة؛ وإنما تكتسب من خلال التخاطب والتفاهم مع المجتمع، وتحتاج إلى سنوات عديدة من التعليم والتدريب. وقبل أن يمتلك الفرد ناصية اللغة، أو يتشكل لديه رصيد لغوي من المفردات اللفظية، ثمة الممارسات الحركية، ابتداء من لغة أعضاء الجسد، وتعبيرات الوجه التي تُخَاطِبُ بها الأم وليدها كانفراج شفتيها، أو احمرار وجهها، أو تقطيب حاجبيها، إلى غير ذلك من الحركات المعبرة، وصولاً إلى اللغة المنطوقة التي تعد امتداداً للنشاط الجسدي، الذي يحصِّله الفرد من خلال علاقاته بأفراد أسرته أولاً، ثم من النسقين: الاجتماعي، والثقافي للمكان. وقد استعمل النبي ﷺ ذلك في بعض مواقف (حياتيه: اليومية، والدعوية).

– وقد رأيت أن أتبع في تناولي لهذا البحث وتقسيمي إياه التقسيم العضوي، فجاء على الصورة الآتية:

أولاً: إشارات اليد، وما يتفرع عنها، نحو: إشارته ﷺ بالإصبع، وإشارته بالإصبعين، وتشبيكه أصابعه، وإشارته ﷺ بكفه إلى فمه، والإشارة للدلالة على العد، واستعماله ﷺ الرسم.

ثانيا: لغة انفعالات الرأس، ومنها: تمعر وجهه ﷺ واحمراره، واستنارة وجهه وإشراقه.

توطئة:

موضوع هذا البحث الأساس ينبثق من لغة التخاطب غير اللفظي الذي يحاول الإحاطة بردود فعل الجسم أثناء التواصل مع غيره عن طريق ملاحظة حركات الوجه واليدين؛ كون الحركة قد تسبق اللفظ أثناء التواصل، وهذه الحركة تُظهر ما يفكر به العقل وما يريد النطق به اللسان، كما أن علم لغة الجسد يُعنى بالحركات التي يقوم بها الإنسان لا شعوريًّا، وهي علامات مرئية لما يخفى من محفزات ومشاعر، لكن قوة وذكاء وألمعية الإنسان تكمن في قدرته على استعمال وربط هذه الحركات في دلالاتها الصحيحة وفق أنساق ورودها؛ لأن إيصال المعنى من المرسل إلى المستقبل – واضحاً ومفهوماً – جزءٌ أساسٌ من عملية الاتصال التي تتحقق بها العلاقات الإنسانية في صورها المختلفة (المعنوية والمادية).. ومنها الحركة الجسمية والضوء واللون بشرط توافر البيان والإيضاح. يقول الجاحظ :(ت٢٥٥هـ) "البيان اسم جامع لكل شيءٍ كشف لك عن قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير". أو هو" الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي[١]" أي أن كل ما يدل على المعنى ويوضحه يندرج عند الجاحظ تحت مصطلح "البيان"؛ لأن الغاية هي الاتصال عن طريق الإفهام، "فبأي شيءٍ بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع[٢]".

وقد حصر الجاحظ نُظُمَ البيانِ، أو الاتصال، بما لها من علاقة بالدلالة على المعنى في خمسة نُظُم تميز الإنسان عن الحيوان، هي:

١. الدلالة باللفظ.

٢. الدلالة بالإشارة، أي باليد والرأس والعين والحاجب والمنكب.

---

١. ينظر: عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: محمد عبد السلام، بيروت، دار الجيل (د.ت) ١/ ٧٥-٧٦ بتصرف.

٢. السابق ٧٦/١

٣. الدلالة بالخط، ولذلك قالوا القلم أحد اللسانين.

٤. الدلالة بالعقد (وهو ضرب من الحساب يكون بأصابع اليدين يقال له حساب اليد، وقد ورد في الحديث أنه "عَقَدَ التسعين") [١].

٥. دلالة الحال التي تسمى نِصْبةُ، وهي الحال الدالة، التي تقوم مقام تلك الأصناف بغير اللفظ، والمشيرة بغير اليد وذلك ظاهر في خلق السماوات والأرض[٢]، ثم قال: والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمانُ هي عنه. وكثيرا ما تنوب عن اللفظ. والإشارة تفهم المخاطب دلالات عميقة ومعاني خاصة قد لا يُفْهِمُهَا القولُ المباشر[٣]. ومما استدل به على دلالات الإشارة قول الشاعر[٤]:

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشـــارة مذعـــور ولم تتكلم

فأيقنت أن الطرف قد قال مرحباً وأهلاً وسهلاً بالحبيب المتيمِ

بل إن مبلغ الإشارة عند الجاحظ أبعد من مبلغ الصوت، وقد عَدَّ حسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان[٥].

وتعد الإِشَارَة وَالْكِتَابَة والرسالة والإلهام وَالْكَلَام الْخَفي من الإيحاء. فأوحى بمعنى أَشَارَ، قَالَ تَعَالَى[٦]: **﴿فَأَوحى إِلَيْهِم أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وعَشِيًّا﴾** ووحيت إِلَيْك بِخَبَر

٣. النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، بيروت، دار إحياء التراث الإسلامي، ط٣ كتاب الفتن، ٣/١٨

٢. البيان والتبيين ١/٧٦-٨١.

٣. السابق ١/٧٨.

٤ . عمرو، شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. بيروت، دار الأندلس. (١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م)، ط٢ ص٢٠٤.

٥. البيان والتبيين١/٧٩.

٦. مريم: من آية ١١.

كَذَا أَي أَشرت. قَالَ: عبد الله التيمي الْأَصْفهَانِيّ: الْوَحْي أَصله التفهيم، وكل مَا فهم بِهِ شَيْءٌ من الْإِشَارَة والإلهام والكتب فَهُوَ وَحي[١].

وَمن الْوَحْي بِمَعْنى الْإِشَارَة قَولُ الشَّاعِر[٢]:

يرْمونَ بالخطب الطوَال وَتارَة ... وحي الملاحظ خيفة الرقباء

ويمكن أن تكون الإشارة مهيِّجة، وهو ما يسميه علماء النفس منشطاً، وقد تشترك مع منشط آخر في استدعاء الصورة الذهنية فيظهر أثرُهُ على الجهاز العضوي حين يثير تلك الصورة الذهنية، لمنشط آخر..[٣].

بل إن الإشارة هي الربط بين الفكرة والصورة الصوتية أي بين الدال والمدلول، وهما يتحدان في دماغ الإنسان بآصرة التداعي (الإيحاء) أي أنهما ذوا طبيعة سايكلوجية، وهذا أمر ينبغي تأكيده[٤].

ومعظم نُظُمِ الإشارة مختلفة، والقليل منها غير مشوب، ومع ذلك فإنها جميعاً لا تتعدى واحداً من أربعة:

١- الإشارات الطبيعية المعروفة والمصنفة طبقاً لتقاناتنا، وعلومنا ومعارفنا.

٢- الإشارات التمثيلية أو الصور التي تُنتِج السمات الطبيعية للأشياء والفنون تنتمي إلى هذا النوع.

---

١. محمد بن علي ابن القاضي التها نوي، (ت: بعد ١١٥٨هـ)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم ، تحقيق: د. علي دحروج، لبنان مكتبة لبنان ناشرون ،ط١٩٩٦،١م ، ١٧٧٦/٢.

٢ إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري (ت: ٤٥٣هـ) زهر الآداب وثمر الألباب ، بيروت، دار الجيل، ١٤٦/١.

٣. بيبرجيبرو، ترجمة منذر عياشي، دمشق، دار طلاس، (١٩٩٢) ط١، صـ ٢٧، وينظر ص ٣٣.

٤. فردينان دي سوسور علم اللغة العام، ترجمة، د. يوئيل يوسف عزيز، مراجعة، د مالك المطلبي، بغداد، آفاق عربية (١٩٨٥م) ط٥، ص٨٤.

٣- إشارات الإيصال أو الرموز المشتركة مع الأشياء التي تعبّر عنها، والمثال الذي يعطى عن هذا النوع هو الكلام الإنساني، على الرغم من أن الكلام مختلفٌ جدًّا مع المشتركات الطبيعية في بعض أشكاله.

٤- إشارات الإيصال الأيقونية الرمزية: كالشعائر والقوانين الاجتماعية والأشياء المستحدثة.

وقد صنف الباحث الأنثروبولوجي (لارثومارس) الإيماءات على النحو الآتي:

أ- إيماءات التمديد: وبها تكمل الحركة ملفوظاً لغوياً.

ب- إيماءات التعويض: وتكون حين تغيب اللغة نهائياً لتترك المجال للحركة الإيمائية وحدها.

ج- الإيماءات المصاحبة: وفيها تتصاحب اللغة والحركة لتواكب كلٌّ منهما الأخرى في عملية الدلالة على المعنى.

وحالات الإشارة تتصرف في سياقات الكلام بوصفها لغة شارحة بالنسبة للعلامات التي تدرسها[١]؛ لأن اللغة نظام إشاري عضوي يقوم على الرمز الذي ينتج كليًّا بوساطة الجسم[٢]؛ مما يفرض هيمنة لذلك العضو من الجسم، فيكون له تأثيره في طبيعة الخطاب، بمعنى أن الوساطة تؤثر في الرسالة.

والمعاني المتنوعة في التركيب اللغوي حين تكون كاشفة لمكنونات النفس وانفعالاتها وتعبيراتها في محلها تكون معينة على الإفهام، لافتة للنظر، طاردة للشرود الذهني، مشركة أكثر من حاسَّة في المتابعة؛ لأن الناظر يرى الإشارة ويسمع العبارة، اللتين تذكِّر كلٌّ منهما بالأخرى.

---

١. هوكس ترنس وآخرون، البنيوية وعلم الإشارة، بغداد، وزارة الشؤون الثقافية، (١٩٨٦م) ط١، ص١٢٢.

٢. محمد الصباغ، التصوير الفني في الحديث النبوي، بيروت، المكتب الإسلامي، (١٤٠٩هـ -١٩٨٨م) ط١ ص١٢٤

كما أن لغة الجسد هي لغة تواصل في العلم الحديث تعتمد على تعابير الجسد ومصطلحاته، وهذا العلم يدرس بتعمق مختلف طرائق التواصل غير اللفظية ويوليها اهتماما كبيرا لما لها من دور فاعل في الخطاب الإيضاحي والإبلاغي مما ينتج عنه إبراز الدلالة المقصودة؛ ذلك أن الإشارة لغة إنسانية يستطيع أن يتفاهم بها أناس من بلدان مختلفة لا يعرف بعضهم لغة البعض الآخر، كما أن البكم يتفاهمون بها فيما بينهم كالناطقين أيضاً. وأما الرسم فإنه أسلوبٌ تعليميٌّ يجلو الأمر ويوضحه أتّم توضيح، ويشكل مستوى رفيعا من التوجيه والإبلاغ، لاسيما حين يكون أداة إبلاغ في قوم أميين؛ وذلك ليجسد المعنى ويبينه ببساطة وجلاء، ولقد استعمله الرسولﷺ في توضيح معانٍ عدة مراعاة وتوافقا مع مستويات المخاطبين لإيصال فحوى الخطابات المقصودة.

والناظر لأحاديث الرسول ﷺ يلحظ أنها تنبض بـــ(حركات) صادرة عن الناطق بها ﷺ أثناء حركات جسمه والتأشير والإيماء بها بوصف هذه الحركات ركناً من أركان السياق المقامي المصاحب للحديث، أو ركناً من أركان الحديث، وهذا الركن له حضورٌ مميزٌ في ما يعرف بـــ(علم اللغة الحركي)[١]،

وهو العلم الذي يبحث في دلالة المواقف الاجتماعية وحركات الجسم عن المعنى[٢].

وتعد هذه الإشارات الحركية الإيمائية أغنى أدوات التواصل بين الناس بعد اللسان؛ لأن وظيفتها الأساس هي بيان مقام التلفظ، أي بيان الإطار البياني والمكاني الذي يدور حوله الكلام، وكشف طبيعة العلاقة بين المتكلمين، كما أن الأحاديث التي فيها حركات إيمائية تعد نماذجَ إشارية خاصة كأدوات الإشارة مثلاً.

والتصوير بالحركة والإشارة والإيماء والرسم مما نُقِل إلينا وَوُصِف من أحاديث الرسول ﷺ، وهو لونٌ من ألوان التواصل الذي يوضِّح الفكرة ويبين المراد من الخطاب.

---

١. علم جديد من علوم اللغة، ويسمى "علم الكينات" (kinesics) وهذا العلم يدرس التواصل بوساطة الإيماءات وحركات الجسم ورائده هو الأنتربولوجي الأمريكي "رأي بيرد ويستيل" وتقوم نظريته على فرضية مفادها أن التعبير الجسدي يخضع لنسق منظم يكتسبه الفرد، ويختلف هذا النسق من فرد إلى آخر وفق الثقافة المكتسبة.

٢. فاطمة محجوب دراسات في علم اللغة، القاهرة دار النهضة العربية، ١٩٧٦م، صـــ ١٥٩، وينظر أيضاً بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين صـــ ٧٠٢.

ويدخل في هذا النوع أحاديث نبوية تضمنت إشارات شخصية من يد الرسول ﷺ أو رأسه أو تقاسيم وجهه أو أية حركة تساعد على بيان المعنى وإيضاح دلالته، سواء أكانت إيمائية أم إشارية، وقد نقلها الصحابة ومن بعدهم رواة الحديث كما شاهدوا تلك الحركات والإشارات المرافقة لها أو سمعوها من الثقاة حرصاً منهم على الأمانة العلمية وتبليغها، وعبّروا عنها بأفعال: "طبقَ كفِّيه"، و"كَسرَ الإبهامَ" و"عَقَدَ الإبهامَ" و"خَنَسَ الإبهامَ" و"قَرَنَ بينَ أصبعيه" و" أشارَ بالسّبّابةِ" و"أشارَ بالسّبّابَةِ والوسطى وفرجَ بينَهُما" و"صَفقَ بيَدَيه مرتين بكلِّ أصابعهما" و" نَقَصَ في الصَّفقةِ الثّالثةِ إبهامَ اليمنى أو اليسرى" و"حَلّقَ بإصبعه الإبهام والتي تليها" و"تمعر وجهه" و"أشرق وجهه، أو استنار". وقد أثبتها رواة الأحاديث كما وصلتهم من طرائق الأسانيد. وهذا الوصف التفصيلي أعطى إضاءات أدت بدورها إلى فهم الأحاديث فهما ميسرًا، كما أن ارتباط الإشارات بأعضاء الجسم يرجع إلى فكرة التنبيه بالمسؤولية المناطة بها، كونها من الوسائل التعليمية والتوضيحية للمخاطبين بالأوامر والنواهي النبوية لما لأعضاء الجسم من أدوار وظيفية لدى المتلقي؛ ولهذا كانت من وسائله ﷺ المباشرة والسريعة لتوصيل فحوى خطاباته بصور اكتمل فيها البيان والوضوح.

وليس بخاف أن الإشارة تعد قِسْمًا لا يستهان به من أقسام الدلالة؛ ولهذا يعول عليها كثيراً في استيعاب دلالات النص المتعددة وفق سياقات ورودها؛ كونَها تفصح عن مكنون النفس البشرية وتوظف أعضاء الجسم توظيفا مباشراً لتحقيق الهدف الإفهامي؛ لما لتلك الإشارة من قوة تأثير في توصيل المعنى وترجمته للمخاطب بطريقة فورية، فكل حركات الجسم لا سيما اليدين وبالأخص الأصابع، ترسل معاني وتحمل انطباعاً وتوصل دلالة ربما أقوى من الألفاظ المنطوقة، وقد قالوا: "رب إشارة أبلغ من عبارة"[١].

[١]. أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة (١٩٩٠م) ط٤، ١/٨٠.

أولاً: إشارات اليد:

يُلحظ من خلال التتبع أن الأحاديث التي جاءت إشارة اليد فيها كانت أكثر حضوراً في أنماط الخطاب التواصلي عند الرسول ﷺ؛ لما لها من تأثير بليغ، وقيمة تواصلية إضافية في توضيح المعنى، وتأكيد الدلالات. وقد وردت إشارة اليد في السياقات النبوية على أكثر من صورة، منها:

١- الإشارة بالإصبع[١]

المُشِيرَةُ: هِيَ الإِصْبَع الَّتِي يُقَالُ لَهَا السَّبَّابَة،.. وَيُقَالُ للسَّبَّابَتين: المُشِيرَتان[٢].

وقد سبق التنويه لأهمية الإشارة والإيماء في إيضاح الكلام المنطوق، وأنها قد تغني عنه في مواطن كثيرة[٣]"، وليس بغائب عن الفهم أن من شمائله ﷺ أنه إِذَا أَشَارَ أَشَارَ بِكَفِّهِ كُلِّهَا وَإِذَا تَعَجَّبَ قَلَّبَهَا وَإِذَا تَحَدَّثَ اتَّصَلَ بِهَا فَضَرَبَ بِإِبْهَامِهِ الْيُمْنَى رَاحَتَهُ الْيُسْرَى ..[٤]. ومن نماذج ذلك في الحديث النبوي الشريف الآتي:

- وعن جابر بن سمرة، قال: كنَّا إذا صلينا خلف رسول الله ﷺ فسلَّم أحدُنا أشار بيده مِنْ عن يمينه ومِنْ عن يساره، فلما صلى قال: "ما بالُ أحدكم يرمي بيده كأنَّها أذنابُ خيلٍ شُمْسٍ؟ إنما يكفي أحدَكُم، - أو: ألا يكفي أحدَكُم- أن يقول هكذا- وأشار بإصبعه - يُسَلِّم على أخيه، من عن يمينه، ومن عن شماله[٥].أي أن

---

١. في إصْبَعِ اليَدِ ثلاثُ لُغاتٍ جيِّدَةٌ مُستعملَةٌ، وهنَّ: إصْبَع، وإصْبِعٌ ، كإثْمِد ، وأُصبُعٌ. اللسان، مادة صبع.

٢. ابن منظور، لسان العرب، بيروت ــ دار صادر (١٤١٤ه) ط٣، شور ٤/٤٣٦ــــــــ٤٣٧ــ

٣. د . أحمد ياسوف، جماليات المفردة القرآنية، دمشق، دار المكتبي ، (١٤١٩هــ ١٩٩٩م) ،ط٢، ص٣٢٨.

٤. القاضي عياض بن موسى السبتي، شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ، المُسَمَّى (إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم) تحقيق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، مصر، دار الوفاء، (١٤١٩هــ ١٩٩٨م) ط١./١٥٨.

٥. أبو داود، سنن أبي داود السجستاني، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، (١٤٣٠ هــ - ٢٠٠٩ م) ط١، ٢/٢٤٠.

الإشارة التي وجه بها ﷺ تعني الوحدانية لله عز وجل وإفراده بالعبودية الخالصة بالسبابة لوحدها وليس بمد اليد يمينا وشمالا من غير قصد.

ومما يحمل المدلول نفسه ما رواه ابن الزبير، أن النَّبي ﷺ، كانَ إذا جلس في التشهد أشار بالسبابة، و لم يجاوز بصره إشارته[١].

وفي آخر حديث وائل بن حجر "أنه أشار بالسبابة ثم قال يحركها يدعو بها". وهذا لفظ صريح في التحريك[٢].أي للدلالة على توحيد الله عز وجل وإفراده بالعبادة، وكان ﷺ إذا ذكر الله تعالى أشار بالسبابة[٣].

فالإشارة بالسبابة في السياقات السابقة تحمل مدلولا شعائريًّا، ولا يخلو هذا الأمر من دلالة على أهمية اقترانها بالذكر الذي يؤديه لسان المصلي ربما بما تؤديه من دور تنشيطي، لطرد الغفلة عن ذهن المتعبد كي يكون في حال اتصاله بالله مستشعرا عظمة الله ورهبته ليكون اتصاله ربانيًّا خالصا من الشرك والغفلة.

- وفي مرضه الذي توفي فيه ﷺ ثبت أنه قال: "اللهم الرفيقَ الأعلى، وأشار بالسبابة.." فقد دلت إشارته بالسبابة على التوحيد الخالص. كما أن إشارته ﷺ في هذه الحالة توحي بمقدار تعلقه بربه، واستحضاره الدائم لمعيته، ومقدار تشوقه للانتقال إلى جوار ربه جل وعلا، وفيها أيضاً تعضيد لنطقه الضعيف في حالة النزع.

- أن رسول الله ﷺ قال: "**أُمِرْتُ أن أسجدَ على سبعة أعْظُمٍ: الجبهة، ثم أشار بِيده إلى أنفه، واليدين، وَالركبتين، وأطراف القدمين**[١]"

---

١. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود، وآخرون، مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية، الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة،(١٤١٧هـ ١٩٩٦م)، ط١ ، ٣٦٩/٦.

٢. السابق نفسه.

٣. محمد ناصر الدين الألباني، الأجوبة النافعة عن أسئلة لجنة مسجد الجامعة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م) ط١، ص ١٠٢.

عبَّر ﷺ هنا عن الجبهة باللفظ، أما الأنف فعبَّر عنها بالإشارة؛ أي: إن الأنف تبع للجبهة[٢]. فالإشارة هنا تعد تطبيقا عمليًّا لهيئة السجود، وجاء تخصيص الجبهة باللفظ كونها أول الأعضاء سجودا. ولعل تخصيصه الأنف بالإشارة دون باقي الأعضاء السبعة لما تحمله الأنف من دلالات الكبر والإباء في المنظومة الثقافية العربية؛ حتى إن الأَنَفَة التي هي الحمية والكبر نسبت للأنف نتيجة لما غرس في أذهانهم من عظيم دلالاتها على الشموخ والتعالي، والبعد عن الخضوع والذلة؛ فكانت الإشارة إليها تعميقاً لأهمية ولزوم أن يتجرد المصلي بين يدي ربه جل وعلا عن جميع نوازع التعالي، والتحلي بكامل صور التذلل والعبودية لله وحده. والظاهر أن لفظ (يده) ﷺ في هذا الحديث ليس مقصودا بها كفه، بل أصبعه، وأن إشارته إلى أنفه كانت بإصبعه كما هو غالب في اللغة الاستعمالية، وثمة من يضع أصبعه على أنفه إجبارا لذاته بتلبية طلب الآخرين وإشعاراً لهم بتنفيذ ما يطلبونه إرضاءً لهم وتطييباً لخواطرهم.

وأما المتعاطفات فإنها جاءت على ذلك النسق للدلالة على الترتيب التنازلي الدال على الخضوع المطلق لله وحده سبحانه أثناء السجود بين يديه عز وجل.

٢- إشارته بالإصبعين:

ومن الأحاديث التي وردت فيها إشاراته ﷺ بإصبعيه جامعة كثيرا من الدلالات الآتي:

- عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **" كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ، أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ، إِذَا اتَّقَى اللهَ"** وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى[٣].

---

[١]. أحمد بن حنبل الشيباني، المسند، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث ــ القاهرة، (١٤١٦ هـــ - ١٩٩٥م) ط١، ١٩١/٣.

[٢]. محمود بن أحمد العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار الفكر، (١٤٢٢هـــ ــ ٢٠٠٢م) ط١، ٩٣/٦،

[٣]. أحمد بن حنبل الشيباني، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، وآخرون، الرسالة العالمية، ١٤٢١هـــ -٢٠٠١م،ط١ ١٤/ ٤٦٥.

- وعن عوف بن مالك الأشجعي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"أنا وامرأة سفعاء الخدين – أي: متغيرة الخدين من غاية الجهد والمشقة وترْك الزينة والترفُّه إقامةً على ولدها بعد وفاة زوجها– كهاتين يوم القيامة. وأومأ الراوي"**؛ أي: أشار **"بالسبابة والوسطى[١]"**.

- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **"مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا دَخَلْتُ أَنَا وَهُوَ الْجَنَّةَ هَكَذَا». وَقَالَ بِأُصْبُعَيْهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا[٢]. وضم أصابعه....؟**

- وعنْ سهلِ بنِ سعدٍ قال: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا[٣]"**.

فاستعماله ﷺ للإشارة بأصبعيه السبابة والوسطى في السياقات السالفة تحمل كثيراً من الدلالات، منها: التحفيز والترغيب بطريقة متناهية في إثارة الدافعية، وكذلك بيان فضيلة الأمور المُرَغَّبِ في عملها، وفيها أيضاً التمثيل والإيجاز، حيث إنها أغنت تماما عن الدلالة المنطوقة التي هي تقارب المترلة بين أصحاب هذه الأعمال المذكورة في الأحاديث والرسول ﷺ بأوضح صورة وأدق دلالة للمتلقين وعلى نحو مستمر. واقتران الإشارتين: المنطوقة (هكذا)، والحسية (رفعه ﷺ أصبعيه) زيادة في التأكيد، وشد انتباه المتلقين لما سيعقب ذلك من أمر، وما يترتب عليه من جزاء وأجر من الله عز وجل.

وقال ﷺ: **"بعثت أنا والساعة كهاتين[٤]"** يعني وقرن إصبعيه السبابة والوسطى.

---

١. محمَّدُ بنُ عزِّ الدِّينِ الحنفيِّ، شرح مصابيح السنة للإمام البغوي، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، إدارة الثقافة الإسلامية، (١٤٣٣هـ -٢٠١٢م) ط١، ٣٠٤/٥.

٢. مسلم بن الحجاج النيسابوري، المسند الصحيح المختصر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، لبنان ـ بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١١٣/١٨.

٣. محمد ناصر الدين الألباني، مُخْتَصَر صَحِيحُ الإِمَامِ البُخَارِي، الرياض، مكتَبة المَعارف للنَّشْر والتوزيع، الرياض، (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م) ط١، ٤١١/٣.

٤. السابق ،١٥٦/٤

فإشارته ﷺ بأصبعيه في هذا الحديث جاءت للإيجاز والإيضاح معاً. وقد حلت الإشارة محل القول، وأدت وظيفته على أعلى مستوى، وأدق تمثيل. وفي مثل هذه الاستعمالات التي تؤدي فيه الإشارة الحسية وظيفة القول اللساني تقوم العين مقام الأذن بإيصال الصورة إلى الذهن؛ ليقوم الذهن بترجمتها على نحوٍ لا يقبل الخطأ أو اللبس، كيف والعين أدق الحواس؟ وعين اليقين قمة الإدراك وغاية الوعي.

عَنْ أَبِي مُوسَىرضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **"مَنْ صَامَ الدَّهْرَ كُلَّهُ ضَيَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ جَهَنَّمَ هَكَذَا"** وَضَمَّ أَصَابِعَهُ عَلَى تِسْعِينَ[١].

فكان قيامه ﷺ بضم أصابعه توضيحًا لانغلاق جهنم عن الصائمين. وجاءت الإشارة تمثيلاً لزيادة الإيضاح، وفي ذلك ترغيب وحض كبيران على الصيام، لتحصل النجاة من النار.

عن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها أنها قالت: دخل علي رسول الله ﷺ ذات يوم فزعاً وهو يقول: **"لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب، فُتِحَ اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثلُ هذه وحلَّق بين إصبعيه الإبهام والتي تليها"** فقلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: **"نعم إذا كثر الخبث"**[٢].

في هذا الحديث نجد أن النبي ﷺ حلق بإصبعيه؛ لبيان مقدار حجم الفتح من الردم، ووضح ذلك بحركة تمثيلية محاولة منهﷺ لتقريب صورة مفهوم الكلام المنطوق بلغة الإشارة من خلال إشارة اليد وتحليقه بإصبعيه، وفيه توضيح المعنى، والصدع

---

[١]. أبو القاسم الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة، دار الحرمين ، ٨٣/٣.

[٢]. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي،(١٤٢٢ه) ١٣٨/٤.

بالتحذير بصورة جلية لا تقبل اللبس، والتنبيه لما قد يداهم العرب من الشر والفتنة، والذي قرَّب تلك وجعلها مستحضرة ذهنيًّا هو التمثيل بحركة الإشارة.

ومعنى فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، أي: بداية فتح باب شر بمقدار ما أشار بإصبع.

٣- تشبيكه أصابعه:

- عن أبي موسىﷺ عن النبيِّ ﷺ قالَ: "**إنَّ المؤمنَ للمؤمن كالبُنيانِ، يشُدُّ بعضُه بعضاً. وشبكﷺ أَصَابِعَهُ** [١]".

استعملت الإشارة باليد في الحديث لتوضيح المعنى بطريقة حسية مبسطة لاسيما وجملة (شبك) معطوفة على مقول القول. ومن خلال الإمعان بالنظر يلحظ أن استعمال إشارة اليد لها أهمية كبيرة بجانب النطق باللسان؛ كونها موضحة للمعنى المراد من الكلام المنطوق؛ ليتمكن المتلقي من فهم الكلام الموجه إليه واستيعابه.

وفي هذا الحديث بين النبي ﷺ للصحابة حال المؤمنين في اتحادهم، بيد أنه أردف القول بالإشارة وحركة يديه من خلال التشبيك بين أصابعهما وذلك ليقرب إليهم معنى التشبيه بصورة تمثيلية. وقد أورد ابن رجب كلاماً دقيقا حول هذا، فقال: "وهذا التشبيك من النبي ﷺ في هذا الحديث كان لمصلحة وفائدة، و لم يكن عبثاً، فإنه لما شبه شد المؤمنين بعضهم بعضا بالبنيان، كان ذلك تشبيها بالقول، ثم أوضحه بالفعل، فشبك أصابعه بعضها في بعض؛ ليتأكد بذلك المثال الذي ضربه لهم بقوله، ويزداد بيانا وظهوراً[٢].

---

١. السابق، ١٣٨/١.وأخرجه مسلم في البر والصلة رقم (٢٥٨٥).

٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤١٩/٣ـــ ٤٢٠).

وقد جاء التوكيد بـــ(إنَّ) لتحويل المتلقي من غير العلم إلى اليقين بطريقة تصوير المؤمن بالبنيان ليعطي دلالة القوة والاتحاد والتماسك المنضبط المتسق، فكان التوافق الدلاليُّ قويًّا بين الإشارة المذكورة (تشبيك الأصابع)، وخلافه (تفريقها) الذي يدل على الضعف وعدم القوة.

٤- الإشارة بالكف:

- أَرسلتْ أم سلمة إلى الرسول ﷺ جاريةً، فقالتْ: قُومي بجَنبهِ، قُولي لهُ: تقولُ لكَ أُمُّ سلَمَةَ: يا رسولَ الله سمِعتُكَ تَنهى عن هاتَينِ وأراكَ تصَلِّيهما؟ فإنْ أشارَ بيَدهِ، فاستأخِري عنهُ، ففعلَتِ الجاريةُ، فأشارَ بيَدهِ، فاستأخرتْ عنهُ، فلمَّا انصرفَ قالَ: **"يا بنتَ أَبي أميَّةَ! سألتِ عن الركعتَينِ بعدَ العصرِ، وإنهُ أتاني ناسٌ من عبدِ القَيسِ [بالإسلام من قومهم] فشغلُوني عن الركعتَينِ اللتَينِ بعدَ الظهرِ، فهُما هاتان**[1]".

فدلالة إشارة الرسول ﷺ (فأشارَ بيَدهِ) هي للابتعاد عنه، وأن تكف الجارية عن الكلام ريثما يتم صلاته ليجيب عن سؤالها، وقد فهمت الجارية دلالة إشارته ﷺ كما لو كان خطاباً لفظيًّا، وكان مجيء الإشارة اضطراريًّا لما يتطلبه الموقف؛ لأن الحال يستوجب عدم التحدث مع الجارية كونه ﷺ في صلاة، فاكتفى بلغة الإشارة، وقد أرشدت أم سلمة الجارية لما ينبغي عليها القيام به في حال عدم رده على سؤالها؛ لما تتوقعه منه لعلمها بحاله ﷺ أثناء تعبده.

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **"الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ"**، ثُمَّ أَشَارَ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ فَقَالَ: **"التَّقْوَى هَاهُنَا"**[2].

---

[1]. محمد ناصر الدين الألباني، مُخْتَصَر صَحِيحُ البُخَارِي ١/٣٦١.

[2]ـــ إسحاق بن راهويه، مسند إسحاق بن راهويه، تحقيق: د. عبدالغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان -المدينة المنورة ، (١٤١٢ – ١٩٩١م)ط١ ١/٤٤٩.

وردت الإشارة هنا تحدد مكان التقوى في الجسد وهو القلب؛ لترفع كل اعتبار آخر يتوقعه الناس من المظاهر الشكلية أو المقاييس البشرية؛ وذلك لسيطرة القلب على كل أعضاء الجسد، فكانت الإشارة إلى محل انعقاد التقوى وانطلاقها توضيحا كافيا وتخصيصا دقيقا للقلب لمعرفة دور وأهمية ذلك العضو.

- وفي مرض النبي ﷺحين أُجْلِسَ فِي مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ "...ثُمَّ طَفِقْنَا - أي نساؤه- نَصُبُّ عَلَيْهِ تِلْكَ القرب حَتَّى طَفِقَ يُشِيرُ إِلَيْنَا: "أَنْ قَدْ فَعَلْتُنَّ"[1].

جاءت إشارة كفه الشريف ﷺ تدل على الاكتفاء والتوقف عن صب الماء، وقد قامت الإشارة مقام العبارة، وأدت وظيفتها الخطابية التوضيحية.

وفي هذا الحديث ورد قولهن: (يشير) الفعل المضارع الدال على التجدد بمعنى أنه كرر الإشارة سواءً أكانت الإشارة باليد أم بالرأس؟ بيد أن ظاهر السياق يدل أن رسول الله ﷺ، قد أشار إلى نسائه بيده، وذلك إما لعدم قدرته على التحدث؛ كونه مريضاً، فاكتفى إليهن بالإشارة التي تدل أنه يأمرهن بالتوقف عن صب الماء وجاءت جملة (أن قد فعلتن) الواقعة مفعولا به والمصدرة ب(أن) ففسرت مدلول الإشارة، كما قال بذلك غير واحد من شراح الحديث، وإما باكتفائه ﷺ بالإشارة كونها أبلغ وأسرع في إيصال الأمر إلى نسائه لمواءمتها وموقف الحال وشدة معاناته ﷺ للمرض.

- .. ولما أشْرف النبي ﷺ على المقْبَرة، وهي على طريقَه الأولى، أشار بيده وراء الضفير، أو قال: وراء الضفيرة، شك عبد الرزاق، فقال: **"نِعْم المقبَرة هذه"**، فقلت للذي أخبرني: أخصَّ الشِّعْب؟، قال: هكذا قال، فلم يخبرني أنه خص شيئاً إلا كذلك:

[1]. صحيح البخاري، ١/٥٠.

أشار بيده وراء الضفيرة أو الضفير، وكنا نسمع: أن النبي ﷺ، خص الشِّعبَ المقابلَ للبيت[١].

في هذا الحديث الشريف تعددت الإشارات (أشار بيده وراء الضفير، نعم المقبرة هذه، قال هكذا، أشار بيده وراء الضفيرة) ومما يلحظ أن هذه الإشارات هي إشارات دالة على المكانية بيد أن المكانية هنا مكانيتان (قريبة وبعيدة)، فإشارته بيده وراء الضفير تدل على مكان بعيد له مكانة وذكرى عند رسول الله ﷺ. أما: (هذه، وهكذا) فالإشارة للمكانين القريبين. وفي الحالتين قد أغنت الإشارة عن الكلام اللفظي وبينت ووضحت المعنى الدلالي الذي أراد أن يفهمه ويبينه رسول الله ﷺ للمخاطبين. فكانت تلك الإشارات المتتابعة تعبيراً عن المدى النفسي والمعنى العميق، وعن الذكريات المختزنة في الوعي واللاوعي عن المكانة الكبيرة التي تحتلها تلك الأماكن عنده ﷺ.

– عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: كَانَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ يَأْتِيَانِ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي فَيَتِبَانِ عَلَيْهِ وَيَرْكِبَانِهِ، فَإِذَا نُهِيَا عَنْ ذَلِكَ أَشَارَ بِيَدِهِ أَنْ دَعُوهُمَا.."[٢].

الإشارة هنا قامت مقام اللفظ في الدلالة على المنع؛ وكان مجيء الإشارة اضطراراً لا اختياراً كونه في الصلاة؛ لكنها أغنت عن التلفظ وأوصلت الرسالة للمتلقين بوضوح تام.

– عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ عنه قَالَ: "نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أُحُدٍ فَقَالَ: **"إِنَّ أُحُدًا هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ، ثُمَّ أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَقَالَ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ**

---

١. أحمد بن حنبل الشيباني، المسند، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط دار الحديث، ٤٥٥/٣.

٢. أبو بكر العتكي، مسند البزار، البحر الزخار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، (١/ ٩)، عادل بن سعد (١٧/١٠)، صبري عبد الخالق الشافعي (١٨)، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)، ط١، ٢٢٦/٥.

لَابَتَيْهَا وفي رواية: مَا بَيْنَ جَبَلَيْها بِمِثْلِ مَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ: أَنْ يُقْطَعَ عِضَاهُهَا، أَوْ يُقْتَلَ صَيْدُهَا"[١].

الإشارة هنا تحمل دلالات شعورية بالحب والأنس بالمشار إليه، ومكانة أحد والمدينة من نفس النبي ﷺ، جاء فِي الطَّبَرَانِيِّ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ مَرْفُوعًا: **"أُحُدٌ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْجَنَّةِ**[٢]"، وقال: **"أُحُدٌ جبل يُحِبُّنا وَنُحِبُّهُ**[٣]"فوصفَ الجبل الجماد الأصم بأنه يحب الرسول ﷺ، فيه تشخيص للجبل وإعطاؤه خاصية إنسانية متميزة، هي صفة الحب والشعور منه/به والنظر والإشارة إلى المدينة يدل على الارتباط الشعوري والنفسي بمكانتها ومترلتها عند الرسول ﷺ.

– حدّثنا المَكِّيُّ بنُ إبْراهِيمَ قَالَ: أخبرنَا حنْظَلَةُ بنُ أبي سُفْيانَ عنْ سالِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ عَن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: **"يُقْبَضُ العِلْمُ وَيَظْهَرُ الجَهْلُ والفِتَنُ وَيَكْثُرُ الهَرْجُ"** قِيلَ: يَا رَسُول الله! ومَا الهَرْجُ؟ **"فَقَالَ هَكَذَا بِيَدِهِ فَحَرَّفَها كأنَّهُ يُرِيدُ القَتْلَ**[٤]".

في هذا الحديث أجاب الرسول ﷺ المستفهم عن معنى الهرج بإشارة اليد اكتفاء بذلك عن النطق بالمعنى المراد. ومعنى حرَّف يده أي حركها كأنه يريد القتل.. كالضارب يشير بذلك إلى معنى القتل. قال العيني: قَوْله: (فَقَالَ هَكَذَا بِيَدِهِ) ، ومَعْنَاهُ: أَشَارَ بِيَدِهِ محرِّفا، وَفِيه إِطْلَاق القَوْل على الْفِعْل، وَهُوَ كثير. وَمِنْه قَول الْعَرَب: قَالُوا بزيد وَقُلْنَا بِهِ، أَي: قَتَلْنَاهُ،[٥].

---

١. صهيب عبد الجبار، الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، (١٥ –٨ – ٢٠١٤م) ٣١٤/٣٠.

٢. أحمد بن علي الموصلي ، مسند أبي يعلى (ت: ٣٠٧هـ)تحقيق: حسين سليم أسد ، دمشق ،المأمون للتراث ،(١٤٠٤هـ ١٩٨٤م)، طبعة١ ، ٥٠٨/١٣.

٣. صحيح البخاري ١٢٥/٢ خرص الثمر، وصحيح مسلم١٠١١/٢.

٤. محمود بن أحمد العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار إحياء التراث العربي ٩١/٢.

٥. السابق ،٩٢/٢.

فتحريف يده ﷺ قدم للمشاهدين توضيحا ودلالة لا لبس فيها عن معنى الهرج.

قَالَ ﷺ: **"يَا بْنَ حَوَالَةَ! إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتْ الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ فَقَدْ دَنَتِ الزَّلَازِلُ وَالْبَلَابِلُ وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنَ النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ**[١]".

الإشارة هنا أوجزت القِصَرَ الزمني، موظفة في تلك الدلالة البعد المكاني لتقريب المعنى، فتشابكت الدلالتان الزمانية والمكانية في حيز الإشارة النبوية، وفي هذا تنبيه للمتلقين عن قرب الساعة، وقصر الباقي من عمر الدنيا؛ وذلك ليتيقظ المخاطب للتهيؤ والاستعداد لدنو الساعة، وربما أن الإشارة للأجل.

- عن أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَقَالَ: **"فِيهِ سَاعَةٌ، لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ" وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا** [٢].

بيَّن الرسول ﷺ، لأصحابه عن طريق الإشارة بيده أن وقت الساعة التي يقصدها قليل ويمر بسرعة، ووضح ذلك بمجيء الإشارة بالتقليل للترغيب فيها واغتنام وقتها، ليقتنصوه ويستفيدوا منه ولا يفرطوا فيه.

واستنتاجاً من قوله: (وقال بيده ووضع أنملته على بطن الوسطى والخنصر) فإن ذلك كان لتقريب المعنى إلى ذهن المتلقي بطريقة واضحة، قال الكرماني: قال بيده؛ أي

---

[١]. أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، صيدا، (د ت) ١٨٧/٤ يقدر العلماء عمر الكون بمليارات السنين (١٣,٥ مليار سنة)، وعمر الإنسان ضئيل جداً أمام عمر الكون، حيث بُعث سيدنا محمد قبل ١٤٥٠ سنة فقط، أي أننا لو قسمنا ١٤٥٠ على ١٣٥٠٠٠٠٠٠٠ يكون الناتج صغيراً جداً بحدود ٠,٠٠٠٠٠٠١ أي نسبة واحد على عشرة ملايين، ولذلك فإن التشبيه النبوي دقيق، للدلالة على أن زمن قدوم يوم القيامة قريب جداً بالنسبة لعمر الكون، والله أعلم.

[٢]. صحيح البخاري، (١٣/٢).

أشار بها، ويحتمل أنه وضع الأنملة على الوسطى إيماءً، إلا أن تلك الساعة في وسط النهار، وعلى الخنصر أنها في آخر النهار[١].

وقد استعمل الإشارة لما لها من قوة تأثير في توصيل المعنى بسرعة وسهولة، مراعيا ﷺ فكرة توافق الإشارة وانسجامها مع اللفظة المقولة مما حدا بالسامعين إلى فهم وتقبل إشاراته وتعليماته الشريفة، وتكوين قناعات داخلية لديهم بممارسة ما يوجههم به عمليًّا.

– عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي حَكِيمٍ، أَنَّ عَطَاءَ بْنَ يَسَارٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَبَّرَ فِي صَلاَةٍ مِنَ الصَّلَوَاتِ، ثُمَّ أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَيْهِمْ أَنِ امْكُثُوا، فَذَهَبَ، ثُمَّ رَجَعَ وَعَلَى جِلْدِهِ أَثَرُ الْمَاءِ[٢].

قامت الإشارة هنا مقام الكلام وأغنت عنه؛ لأن المخاطبين كانوا في حال صلاة لا يحسن التكلم معهم؛ ولأن الموقف يقتضي الإسراع والاختصار.

– عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: "مَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ إِلَيَّ إِشَارَةً[٣].

كان ذلك الرد في بداية الأمر، ثم إنه حُرِّم أي فعل لا يتعلق بأمر الصلاة، وكان الصحابة يسلمون فيما بعد على الرسول ﷺوهو في صلاته ولا يرد عليهم.

– قالَ ابنُ عُمَرَ رضي الله عنهما: ثم قامَ النبيُّ ﷺ في الناسِ، فأثنى على اللهِ بما هو أهلُهُ، ثم ذَكَرَ الدَّجَّالَ، فقالَ: **"إنِّي أُنْذِرُكُموهُ، وما مِن نبيٍّ إلا قد أنْذَرَ قومَهُ، لقد أنذَرَ نوحٌ**

---

١. شمس الدين الكرماني، الكواكب الدراري، شرح صحيح البخاري، (١٩/ ٢١٢).

٢. السابق، ٥٤/١.

٣. أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية (١٤٢٤ هـ -٢٠٠٣م) ط١، ٣٦٦/٢.

قومَهُ، ولكن سأقولُ لكُم فيه قولاً لم يَقُلْهُ نبيٌّ لقومِهِ، تعلمونَ أنَّهُ أعورُ عينِ اليمنى، كأنها عِنَبَةٌ طافِيةٌ، وإنَّ اللهَ لا يَخْفَى عليكم، إنَّ اللهَ ليسَ بأعورَ "وأشارَ بيدِهِ إلى عينِهِ[١].

في هذا الحديث أردف رسول ﷺ قوله:(إنه أعور عين اليمنى) بالإشارة إلى عينه هو ﷺ ليُؤكِّد للمخاطبين العلامة المميزة للأعور الدجال، فجاءت الإشارة مدعمة للقول؛ لإيضاح المعنى، ولإزالة اللبس من احتمال أي معنى آخر مجازي للعَوَر: كعَوَرِ الرأي أو عَوَر الفعل والسلوك أو غير ذلك.

وفي سياق آخر ذُكِرَ الدَّجَّالُ عِنْد النَّبِي ﷺ فَقَالَ: إن الله لَا يخفى عَلَيْكُم. إن الله لَيْسَ بأعور - وأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عينه، وَإِن الْمَسِيح الدَّجَّال أَعور عين الْيُمْنَى[٢].

قَالَ ابْن حجر فِي شَرحه الحَدِيث آنف الذّكر: إِن الْإِشَارَة إِلَى عينه ﷺ إِنَّمَا هِيَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عين الدَّجَّال فَإِنَّهَا كَانَت صَحِيحَة مثل هَذِه ثمَّ طَرَأَ عَلَيْهَا النَّقْص، وَلم يسْتَطع دفع ذَلِك عَن نَفسه[٣]. وكانت الإشارة من الرسول ﷺ للتوضيح والتفهيم لأصحابه ﷺ، حتى لا يلتبس عليهم الأمر، وليزول الغموض فيكونوا على يقين من الأمر ومعرفة تامة.

- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مَنْ أُمِرْتُ أَنْ أَصْبِرَ مَعَهُمْ"** قَالَ: ثُمَّ جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسْطَنَا لِيَعْدِلَ نَفْسَهُ فِينَا قَالَ: ثُمَّ أَشَارَ بِيَدِهِ اسْتَدِيرُوا، فَاسْتَدَارَتِ الْحَلْقَةُ وَبَرَزَتْ وُجُوهُهُمْ لَهُ، قَالَ: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

---

١. محمد ناصر الدين الألباني، مُخْتَصَر صَحِيحُ البُخَارِي، ٢/٢٣٥.

٢. الإسكندراني أبو العباس، المتواري على تراجم أبواب البخاري، تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد، الكويت، مكتبة المعلا، ص ٤١٨.

٣. محمد بن إبراهيم الشافعي، إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، تحقيق: وهبي سليمان غاوجي الألباني، مصر، دار السلام للطباعة والنشر،

(١٤١٠ هـ -١٩٩٠م) ط١ ص ٧٧.

عَرَفَ مِنْهُمْ أَحَدًا غَيْرِي، فَقَالَ: "**أَبْشِرُوا يَا مَعْشَرَ صَعَالِيكِ الْمُهَاجِرِينَ بِالنُّورِ الدَّائِمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَاءِ الْمُؤْمِنِينَ بِنِصْفِ يَوْمٍ، وَذَاكَ خَمْسُ مِائَةِ سَنَةٍ**"[١].

الإشارة النبوية هنا جاءت للتعليم، حيث علمهم كيف يجلسون الجلسة التي تمكنه من رؤيتهم جميعا من خلال انتظامهم وترتبهم ليكون مواجهاً لهم فيتلقوا تعليماته بوضوح.

٥- الإيماء باليد:

تعددت الألفاظ التي تتحدث عن استعمال الرسول ﷺ يده في مضمار التواصل غير اللفظي: فمرة يقال أشار، ومرة يقال أومأ، وقد قدمنا ما كانت الرواية فيه أشار؛ لأن الإشارة باليد ألصق، وأخرنا ما ورد فيه لفظ أومأ؛ لأن لفظ الإيماء مشترك بين اليد والرأس، وهو بالرأس ألصق، وإذا لم يقيد يكون للرأس أو أحد أجزائه.

قال اللَّيْثُ: الإِيماءُ أَن تُومِئَ برَأْسِكَ أَوْ بيَدِك كَمَا يُومِئُ المَرِيضُ برأْسه للرُّكُوعِ والسُّجُودِ، وَقَدْ تَقُولُ الْعَرَبُ: أَوْمَأَ برأْسِه أَي قَالَ لَا. قَالَ ذُو الرُّمَّةِ[٢]:

صِياماً تَذُبُّ البَقَّ، عَنْ نُخَراتِها ... بِنَهْزٍ، كإِيماءِ الرُّؤُوسِ المَوانِع

وَأَنشد الأَخفش فِي كِتابه المَوْسُوم بِالْقَوَافِي:

إِذَا قَلَّ مالُ المَرْءِ قَلَّ صَديقُه ... وأَوْمَتْ إِلَيْهِ بالعُيُوبِ الأَصابِعُ [٣].

---

[١]. أبو يعلى، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دمشق، دار المأمون للتراث (١٤٠٤ – ١٩٨٤) ط١، ٣٨٢/٢.

[٢]. ديوان ذي الرمة، تحقيق عبد الرحمن المصطاوي، بيروت، دار المعرفة، (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م) ط١، ص١٦٨

[٣]. ابن منظور، لسان العرب، ٢٠١/١.

والإيماء هنا بمعنى: (أَشَارَ) إِلَيْهِ بِيَدِهِ أَو نَحْوهَا أَوْمَأَ إِلَيْهِ معبراً عَن معنى من الْمعَانِي كالدعوة إِلَى الدُّخُول أَو الْخُرُوج أو الموافقة أو الرفض[١]. وقد ورد شيءٌ من ذلك في مواطن عدة من حديث الرسول ﷺ من ذلك:

- ..أن أَبا بَكْرٍ صَلَّى بالناس في مرض الرسول ﷺ فَوَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً، فَخَرَجَ يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ، كَأَنَّ عائشة تنْظُرُ إلى رِجْلَيْهِ تَخُطَّانِ مِنَ الوَجَعِ، فَأَرَادَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَتَأَخَّرَ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ مَكَانَكَ، ثُمَّ أُتِيَ بِهِ حَتَّى جَلَسَ إِلَى جَنْبِهِ[٢].

في هذا الحديث استعمل الرسول ﷺ الإيماء بيده الشريفة ليوقف أبا بكر ﷺ عن التراجع عن الإمامة بالمصلين، وليستمر في الصلاة (فأومأ) أي: ولم ينطق إما لضعف صوته، أو لأن مخاطبة من في الصلاة بالإيماء أولى من النطق)[٣]. فدل الإيماء باليد في هذا الموضع على الأمر لأبي بكر بالبقاء في مكانه، وعلى الموافقة على إمامته الناس في الصلاة عن طريق جملة (أومأ)التي هي معطوفة على جملة (أن يتأخر) الواقعة مفعولاً به، فكان الربط وثيقاً بين الأمر وتفسيره.

- وعن حذيفة بن اليمان، قال: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَأَوْمَأَ إِلَيَّ بِيَدِهِ أَنِ ادْنُ فَدَنَوْتُ، ثُمَّ أَوْمَأَ إِلَيَّ أَيْضًا أَنِ ادْنُ فَدَنَوْتُ حَتَّى أَسْبَلَ عَلَيَّ مِنَ الثَّوْبِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ وَهُوَ يُصَلِّي، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ: "ابْنَ الْيَمَانِ! اقْعُدْ، مَا الْخَبَرُ؟"

---

١. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، لبنان ــ بيروت ، دار الأمواج،(١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م)،ط٢.، ٤٩٩/١.

٢. صحيح البخاري ١٣٣/١.

٣. زكريا الأنصاري، منحة الباري شرح صحيح البخاري، ٣٨٠/٢.

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا عُصْبَةٌ تُوقِدُ النَّارَ قَدْ صَبَّ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْبَرْدِ مِثْلَ الَّذِي صَبَّ عَلَيْنَا، وَلَكِنَّا نَرْجُو مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ[1].

فقد فهم حذيفة من إيماء النبي ﷺ طلب الدنو منه، فقام الإيماء الأول والأخير مقام القول، ووصل الخطاب بصورته المرجوة سواءً حين أومأ للدنو حتى يقترب منه أم بالدنو الأخير ليدفئه من شدة البرد.

– عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ قَالَ لِرَجُلٍ انْزِلْ فَاجْدَحْ لِي، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْكَ نَهَارٌ، ثُمَّ قَالَ: انْزِلْ، فَنَزَلَ فَجَدَحَ لَهُ فِي الثَّالِثَةِ، فَشَرِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ أَوْمَأَ إِلَى الْمَشْرِقِ، فَقَالَ: "**إِذَا رَأَيْتُمُ اللَّيْلَ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ هَا هُنَا فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ**[2]".

فالإيماء هنا للبيان والتوضيح، وأتبع الإيماء ﷺ بتحديد الجهة؛ ليلفت انتباه المخاطبين إلى ما ينبغي التركيز عليه في هذه الحالة. حيث دل الإيماء على جهة معينة، وهي معلومة ابتداء لإقبال الليل ليحدد العلامة المميزة لانتهاء النهار وإحلال الإفطار للصائم، وقد أشرك في ذلك اسم الإشارة (ها هنا) – الدالة على المكانية دلالة محددة بمنتهى الوضوح والجلاء –بالإيماءة بإصبعيه جهة المشرق ليوضحَ وقت إفطار الصائم ويزيل الإبهام والشك.

---

[1]. محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت ــ دار الكتب العلمية، (١٤١١ – ١٩٩٠ م) ط١ ، ٣٣/٣.

[2]. أبو نعيم الأصبهاني، المسند المستخرج على صحيح مسلم، تحقيق: محمد حسن إسماعيل الشافعي، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٤١٧هـ -١٩٩٦م) ط١، ١٧٦/٣.

– عن جابر بن سليم أو سليم بن جابرٍ قال: (أتيتُ النبي ﷺ فإذا هو جالسٌ مع أصحابه، فقلت: أيكم النبي ﷺ؟ قال: فإما أن يكون أومأَ إلى نفسه، وإما أن يكون أشار إليه القومُ[١].

قام الإيماء في هذا السياق مقام الجواب، وأغنى عن التلفظ به. واكْتُفِيَ بالإيماء إيجازاً واختصاراً، وفيه دلالة على الهدوء والسكينة التي تغشى مجلس الرسول ﷺ، وتوحي بأدب الصحابة في مجلسه ﷺ وتوقيرهم له.

– عَنْ أَبِي بَكْرَةَ: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَفْتَحَ الصَّلَاةَ فَكَبَّرَ، ثُمَّ أَوْمَأَ إِلَيْهِمْ أَنْ مَكَانَكُمْ، ثُمَّ دَخَلَ، ثُمَّ خَرَجَ وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ فَصَلَّى بِهِمْ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ قَالَ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَإِنِّي كُنْت جُنُبًا". رَوَاهُ أَحْمَد وَأَبُو دَاوُد، وَقَالَ: رَوَاهُ أَيُّوبُ وَابْنُ عَوْنٍ وَهِشَامٌ عَنْ مُحَمَّدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: "فَكَبَّرَ ثُمَّ أَوْمَأَ إلَى الْقَوْمِ أَنِ اجْلِسُوا، وَذَهَبَ فَاغْتَسَلَ[٢]".

استُغني بالإيماء عن الكلام إيجازاً، ولكون حال المخاطبين لا يقبل الخطاب القولي، فهم في صلاة.

– أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا وَرَدَ بَدْرًا أَوْمَأَ إِلَى الأَرْضِ، فَقَالَ: " **هَذَا مَصْرَعُ فُلانٍ**. . . "[٣].

---

[١]. أبو الفداء الدمشقي، جامع المسانيد والسُّنن، تحقيق: د عبد الملك بن عبد الله الدهيش، بيروت، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، (١٤١٩ هـ –١٩٩٨م) ط٢، ٩/٢.

[٢]. محمد بن علي الشوكاني، نيل الأوطار، تحقيق: عصام الدين الصبا بطي، مصر، دار الحديث، (١٤١٣هـ –١٩٩٣م) ط١، ٢٠٨/٣.

[٣]. أحمد بن حجر العسقلاني، إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، تحقيق: مركز خدمة السنة والسيرة، بإشراف د زهير بن ناصر الناصر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (بالمدينة) –ومركز خدمة السنة والسيرة النبوية (بالمدينة) (١٤١٥هـ – ١٩٩٤م) ط١، ٥١١/١.

حمل الإيماء للمخاطبين التطمين والبشارة، والوعد بالنصر على الأعداء بصورة جلية وعلامة ملازمة لتحقق النصر، وكأنه يقول لهم لا تخافوا ولا تقلقوا فالنصر حليفكم، والقتل والخزي حليف أعدائكم بمصرع قادتهم في موقع المعركة.

– عن ابن عباس أن النبي ﷺ سُئل في حجته، فقال: ذبحت قبل أن أرمي؟ فأومأ بيده، قال: ولا حرج، قال: حلقت قبل أن أذبح؟ فأومأ بيده: "ولا حرج"[١].

فالإيماء في هذا الحديث قام مقام القول. ويرى شراح الحديث بأنه أفهم المستعلم معنى نفي الحرج عليه[٢].

– وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ كَعْبٍ أَنَّهُ تَقَاضَى ابْنَ أَبِي حَدْرَدٍ دَيْنًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ فِي المَسْجِدِ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا حَتَّى كَشَفَ سِجْفَ حُجْرَتِهِ، فَنَادَى: «يَا كَعْبُ!» قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «ضَعْ مِنْ دَيْنِكَ هَذَا» وَأَوْمَأَ إِلَيْهِ: أَيِ الشَّطْرَ، قَالَ: لَقَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «قُمْ فَاقْضِهِ»[٣].

(وأومأ اليه؛ أي الشطر) لم يوضح الراوي بما كان الإيماء، لكن ابن رجب فسرها باليد، والمهم أنها كانت إيماءة مفهمة للمخاطب من خلال دلالتها على أمره بأن يضع للمدين الشطر من دينه، قال ابن رجب: وفي إشارة النبي ﷺ بيده وإيمائه إليه أن يضع الشطر: دليل على أن إشارة القادر على النطق في الأمور الدينية مقبولة كالفتيا وغيرها[٤]. وقد استعمل الإيماءة لما لها من قوة تأثير في توصيل المعنى بسرعة وسهولة. مراعيا ﷺ فكرة توافق الإيماءة وانسجامها مع اللفظة المقولة، مما حدا بالسامع إلى فهم وتقبل إيماءته

---

١. صحيح البخاري حديث رقم ٨٤ (٤٢/١).

٢. ينظر: مثلاً، منحة الباري شرح صحيح البخاري (٣٠٣/١). وعمدة القاري (٩١/٢).

٣. صحيح البخاري، ٩٩/١.

٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣٤٩/٣).

وتعليماته الشريفة برضا وصدر رحب، فقد أوجزت الإيماءة إيصال الرسالة، وقامت بمهمة الإقناع.

ولما للصحابة ﷺ من مكانة فقد آثر التخاطب معهم بما يحرِّك نفوسهم: فالإيماءة أو اللمحة أو الإشارة كافية في الإقبال على الحق لدى أصحاب النفوس الصافية، بخلاف ذوي النفوس التي ران عليها الجهل والضلال وغشيتها ظلمة الباطل إلى مطارف الزجر وصِيَغ التأكيد حتى يتزحزح نكيرها[١].

وهنا لمحة سامية من الرسول ﷺ حين دمج لفظ النداء بالإيماءة؛ لكي لا يجرح المدين أو يؤذي مشاعره، بل وجهه بطريقة غير لفظية مما يعني الإشارة للتراحم بعد النداء بالجملة الندائية اللفظية، وهي التفاتة كريمة تؤكد رأفته ﷺ لغير المستطيع بعد معرفته بحاله ونفسيته. [٢].. وفضلا عن إفادة الحديث ووضوح إيماءة الرسول ﷺ للمخاطب ـــ وهو شرط أساس للإيماءة ووظيفتها ـــ فإن القارئ يلمح في إبدال العبارة بالإيماءة ملمحا لطيفا، هو قدرة الإيماءة على توضيح الغرض والمقصد، فضلا عن تحقيق التلميح في الطلب في مثل هذه الحال، وتفضيل ذلك على المباشرة والتصريح. ولعل هذه الإيماءة كانت تلويحا بكف رسول الله ﷺ، كأنما كان ذلك لشطر الشيء إلى شطرين.

– عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا رَجَعَ يَوْمَ الخَنْدَقِ وَوَضَعَ السِّلاَحَ، وَاغْتَسَلَ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ وَقَدْ عَصَبَ رَأْسَهُ الغُبَارُ، فَقَالَ: وَضَعْتَ السِّلاَحَ؟ فَوَ

[١]. ينظر أميمة بدر الدين، بلاغة القسم في الحديث النبوي الشريف، مجلة جامعة دمشق، مجلد (٢٦) العدد الثالث والرابع، ص٢.

[٢]. ينظر السابق نفسه.

اللَّهِ مَا وَضَعْتُه، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، «فَأَيْنَ؟» قَالَ، هَا هُنَا، وَأَوْمَأَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، قَالَتْ: فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ[١].

جملة و(أومأ إلى بني قريظة) هي محل الاستدلال، ويحتمل أن يكون الإيماء بالرأس أو باليد، والمقصود بالإيماء ـــ هنا ـــ التخفي والكتمان حتى تتم مباغتة بني قريظة قبل أن يعلموا بالخبر، قال الشافعي: "كأنه لم يذكر بني قريظة لئلا يبلغهم الخبر؛ لأن الحرب خدعة"[٢].

٦- إشارته ﷺ بكفه إلى فمه:

الرسول ﷺكان حريصاً أشد الحرص على إيصال تعليماته وإرشاداته لصحابته ﷺ بوضوح وجلاء؛ ولذلك استعمل الإشارة بكفه الشريفة لما لها من كشف وإبراز للدلالة المقصودة من فحوى الخطاب وإظهار ما قد يكتنفه من غموض لدى السامع أو المخاطب، ومن ذلك الأحاديث الآتية:

- جاء في حديث الموقف"...**فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق: فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً". قال فأشار رسول اللهﷺ بيده إلى فيه**[٣].

الإشارة هنا اقترنت بلفظ الإلجام لتوضيح مقدار الهول والكرب الذي يحل بالناس يومئذٍ. ولأن الإلجام حقيقة يكون لغير الإنسان، فكان مجيء الإشارة إلى الفم مع ذكر الإلجام ترسيخاً لإرادة المجاز، وتأكيداً لدلالته المرادة، وأن الإلجام المذكور سيكون

---

١. صحيح البخاري، (٤/٢١).

٢. أحمد الكوراني الشافعي(ت:٨٩٣هـ)، الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، بيروت دار إحياء التراث العربي، (١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م) ط١، ٤١٠/١).

٣. صحيح مسلم ١٧/ ١٩٦.

حقيقةً لا مجرد تهويل أو توضيح أو تمثيل. جاءت الإشارة إلى الفم تبين مقدار درجة الكرب والشدة للناس يوم الحشر من دنو الشمس وطول المقام والمعاناة. وقد أراد ﷺ أن يبين عمليًّا بالتمثيل بوضع يده على فيه لتستقر الصورة الذهنية لديهم على نحو أوضح وأعمق؛ لاكتمال بنائها الدلالي باقتران بلاغتي القول والفعل، أو لغتي الصوت والإشارة.

– ".. وبينا صبي يرضع من أمه. فمر رجل راكب على دابة فارهة وشارة حسنة. فقالت أمه: اللهم اجعل ابني مثل هذا، فترك الثدي وأقبل إليه فنظر إليه، فقال: اللهم! لا تجعلني مثله. ثم أقبل على ثديه فجعل يرتضع. قال: فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بإصبعه السبابة في فمه. فجعل يمصها[1].

تمثيله ﷺ ومحاكاته لفعل الصبي ينتقل بأذهان المخاطبين لتتخيل الموقف على حقيقته، وتستوعب مجريات الحدث، فترتبط عندهم أجزاء الصورة ومدلولاتها التي يريدهم النبي ﷺ أن يستلهموها من هذا الحدث.

فالإشارة هنا وكأنها تحكي الموقف بكامل ملابساته، وتنقل المتلقين إلى أجواء الحدث بكل مجرياته، وتجعلهم يعايشون اللحظة، فترتسم في مخيلاتهم تفاصيل القصة كلها مترابطة الأجزاء، وليس اللحظة موضع الإشارة فقط.

فاستعمال الرسول ﷺ الإشارة إلى أحد أجزاء جسمه أثناء الأمر والتوجيه، كما في الأحاديث الأربعة السابقة فيه زيادة إيضاح وبيان للمخاطبين، ولا يخلو من دلالات خاصة أخرى، مثل: قطع الشك والاحتمال، وإزالة توهم أن الأمر لمجرد التمثيل، والتركيز على الدلالة العميقة في التوجيه المراد؛ وذلك ليرسخ أهمية ما يصدر عن هذا العضو (اللسان) والذي موضعه الفم لما يترتب على ما يصدر منه من خطورة.

---

[1]. لاشين موسى شاهين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، دار الشروق، (١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م)، ط١، ٦١٩/٩.

- وعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ قَالَ: **"قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ"** قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَكْثَرُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ **قَالَ: فَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى لِسَانِ نَفْسِهِ**(١).

في هذا الحديث كانت إجابة الرسول ﷺ على السائل بالإشارة إلى اللسان ليبين خطورة هذا العضو مما يدل على حرصه ﷺ على زيادة التوضيح؛ لأن اللسان يوقع صاحبه في المهلكات، ولو اكتفى بالتلفظ لفهم المعنى المراد، لكنه قرن اللفظ بالإشارة لإيصال الدلالة بطريقة تمثيلية لتقوية فهم واستيعاب السائل.

- وفي حديث معاذ: قَالَ: **"أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟"** فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: **"رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ" ثُمَّ قَالَ: "أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟"** فَقُلْتُ لَهُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللهِ. **فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، فَقَالَ:" كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا"** فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ:**"ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟(٢)"**.

إن صورة النصّ الحديثي الفنية، تقوم على مجموع الأدوات والعناصر التي تبنى عليها هيئة النص وما فيه من قيم معنوية وخطرات نفسية، تربط بين نص الحديث ومستقبله وسامعه، وهي صورة تختلف عن الصورة في الأدب الجاهليّ؛ لأنها تطوع النص اللغوي لأصناف من التعابير عما لا يكاد يُحْصَرُ في المواقف والمشاعر

١. أبو داود الطيالسي، مسند أبي داود، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، مصر ــ دار هجر، (١٤١٩هـ ــ ١٩٩٩م) ط١، ٥٥٨/٢.

٢. أحمد بن حنبل، المسند، ٣٤٥/٣٦.

والمحاورات، يظهر ذلك جليا من خلال الوسائل التعبيرية والتصويرية كالوصف والقصة والتشخيص والموازنة والإشارة[١]

وفي قوله:ﷺ: "**رأس الأمر**" إضافة مجازيّة وفي قوله: "**ثكِلَتْكَ أُمُكَ يا مُعاذ** "تنبيه وقرع عصا. والإشارة في قوله: "**مِلاك ذلكَ كلِّه**" إشارة إلى مذكور، وهو قريب والإشارة هنا لتعظيمه. أما الإشارة في: "**كفَّ عليك هذا**" فلمزيد الاهتمام والتعيين. والتنكير في قوله: "بعملٍ" دال على الانفراد نوعاً، والتنكير في قوله : "عظيم" دال على التعظيم، وفي "يسير" دال على التقليل.

والإشارات النبوية تقسم المعاني وتحيلها إلى مشاهدات لجمالٍ بصري يشخص المعنى بعد أن تُلقى عليه الأحاسيس كما أنها تصور الحركة المنشودة المناسبة للموقف، وتترجم تلك الحركاتُ المشاعرَ الخبيئة بسرعة إمتاع الوجدان وموافقة المواقف، مما يكون لهُ الأثر النفسي في سبر الأغوار وتوصيل الرسالة المراد إبلاغها[٢].

وفي إجابة الرسول ﷺ على سؤال معاذ أمَر بصون لسانه عن التكلم في ما فيه مخالفة؛ ولذلك جاء الأمر قويا بقوله: (كُفَّ) الدال على قوة المنع و لم يقل (اسكت) مثلاً وأخذ بيده طرف لسانه ممسكاً إياه ومشيراً به؛ ليدلل على شدة خطورة ما ينطق به هذا اللسان. ويمكن أن نفهم من طبيعة الإشارة هنا مقصدية التضخيم والتهويل لأمر مهم يُحَس من المخاطب الاستهانة به (وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟)؛ بقصد بناء الصورة النقيض له في ذهن المتلقي فيتقبلها ويستجيب لها؛ ولذلك تعاضدت أكثر من وسيلة: ففضلاً عن الإشارة الحسية بيده جاءت الإشارة القولية (هذا)، والحركة الفعلية (أخذ بلسانه).

---

١. قراءة نصية في لغة الحديث ١٢١ــــــ ١٢٢.والتصوير الفني ٤٩١

٢. د. أحمد ياسوف، جماليات المفردة، صـــــ٣٢٨.

٧- الإشارة للدلالة على العد:

عندما تكون المسائل فيها تعقيد وإبهام كالمسائل الحسابية والمعاني المجردة فإن المخاطب يكون بحاجة إلى وسيلة إيضاح تعليمية معينة للفهم والاستيعاب، ولذلك طرائق وأساليب منها: التمثيل المرئي، ومما أشار به الرسول الكريم ﷺ:

ـــ حديث عبد الله بنِ عُمَرَ رضيَ الله عَنهُما أنَّ رسولَ الله ﷺ ذكَرَ رَمَضانَ، فَقَالَ: "**الشَّهْرُ هكذا، وَهكذا**". وَخَنَسَ الإبْهامَ في الثَّالِثَةِ، وفي روايةٍ: "**الشَّهرُ هكذا، وهكذا، وهكذا**"، يَعني ثلاثين، ثُمَّ قَالَ: "**وهكذا، وهكذا، وهكذا**"، يَعني تِسعاً وَعشرين، يَقولُ مَرَّةً: ثلاثين، ومَرَّةً تِسعاً وَعِشرين[١]".

- وعَنْ جَبَلَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**الشَّهْرُ كَذَا، وَكَذَا، وَكَذَا**" وَصَفَّقَ بِيَدَيْهِ مَرَّتَيْنِ بِكُلِّ أَصَابِعِهِمَا وَنَقَصَ فِي الصَّفْقَةِ الثَّالِثَةِ إِبْهَامَ الْيُمْنَى أَوِ الْيُسْرَى[٢].

دلت إشارة النبي ﷺ على تبيين عدد أيام الشهر القمري فـــ(هكذا وهكذا) إشارة بيديه ﷺ ناشراً أصابعه مرتين مما يعني العدد عشرين، وأما قوله: (وخنس الإبهام في الثالثة)، فخنوسه بالإبهام يعني أن عدد أيام الشهر تسعة وعشرون مما وضَّح الغموض وبين حالتي الشهر القمري اكتمالاً ونقصاً.

كما أن الإشارة هنا قامت مقام العدِّ، وجاءت حسية تمثيلية لتقريب الصورة للمخاطبين، على نحو خال من اللبس والغموض أو الاحتمال.

---

[١]. صحيح البخاري٧/٥٣، المختصر ١/٥٥١.

[٢]. مسلم بن الحجاج النيسابوري، المسند الصحيح المختصر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، لبنان ـــ بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢/٧٦١.

– ..قَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، كَمْ عَدَدُ خَزَنَةِ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: "هَكَذَا"، وَطَبَّقَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ طَبَّقَ كَفَّيْهِ، مَرَّتَيْنِ، وَعَقَدَ وَاحِدَةً[١]".

استعمل النبي ﷺ تمثيله بكفيه ليوضح عدد خزنة النار، وأقام ذلك مقام الجواب الملفوظ، وفي ذلك إشراك للحواس لتلقي الجواب الذي لا يحتمل اللبس.

– ومن حديثه ﷺ في هذا السياق قُولُه: "**نَزَلَ جِبْرِيلُ فَأَمَّنِي، فَصَلَّيْتُ مَعَهُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ" يَحْسُبُ بِأَصَابِعِهِ خَمْسَ صَلَوَاتٍ**[٢].

استعمال الأصابع للعد وسيلة حسية إيضاحية وتأكيدية في الآن نفسه تتناسب مع مستوى وعي المخاطبين؛ لأنهم بحاجة إلى تبسيط الخطاب بأوضح صورة ليتمكنوا من فهم واستيعاب كيفية أداء الصلاة عمليا. وذِكْرُه للعدد خمس مرات ليتوافق مع عدد الصلوات فيزداد الفهم لديهم رسوخاً.

– عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ سُئِلَ: مَاذَا يُتَّقَى مِنَ الضَّحَايَا؟ فَأَشَارَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: أَرْبَعًا– وَكَانَ الْبَرَاءُ يُشِيرُ بِيَدِهِ، وَيَقُولُ: يَدِي أَقْصَرُ مِنْ يَدِ رَسُولِ اللَّه ﷺ الْعَرْجَاءُ الْبَيِّنُ ظَلَعُهَا، وَالْعَوْرَاءُ الْبَيِّنُ عَوَرُهَا، وَالْمَرِيضَةُ الْبَيِّنُ مَرَضُهَا، وَالْعَجْفَاءُ الَّتِي لا تُنْقِي[٣]

استعمال الإشارة هنا جاء لإيضاح التشريع في حق ما لا يصح من الأضحية، ثم أتبعه بأن عدد ذوات العيوب اللاتي لا يجوز أن يضحى بهن ليتم اتقاؤهن.

---

[١]. أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، (١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م) ط٢ ٢٦٨/٨.

[٢]. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، (١٤٢٢هـ) ط١ ١١٣/٤.

[٣]. ا مالك بن أنس الأصبحي، موطأ الإمام مالك، تحقيق: بشار عواد معروف – محمود خليل، مؤسسة الرسالة، (١٤١٢ هـ) ١٨٥/٢.

- عن ابن عمر قال: قال النبي ﷺ: **"إنا أمةٌ أميةٌ لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا وهكذا"** وخنس سليمان أصبعه في الثالثة، يعني تسعاً وعشرين، وثلاثين[١].

الإشارة هنا قامت مقام العد، وكانت وسيلة تعليمية تطبيقية، وجاءت متناسقة مع الخطاب متناسبةً مع مستوى فهم المخاطبين؛ ليستقر المفهوم في أذهانهم بهذا الأسلوب التعليمي والطريقة الإيضاحية من الرسول ﷺ.

٨- استعماله ﷺ الرسم:

عن عبد الله قال: خَطَّ رسول الله ﷺ خَطًّا بيده، ثم قال: **"هذا سبيل الله مستقيماً"** قال: ثم خطّ عن يمينه وشماله، ثم قال: **"هذه السُّبُل، وليَس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه"**[٢] ثم قرأ [٣]**﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾**.

استعماله ﷺ يده في الرسم هنا جمع بين الترغيب والترهيب، وزيادة التبيين والإيضاح، وأدى دوراً قوياً في جذب أذهان المتلقين وشد انتباه الحاضرين، كما أن فيه تحسيناً وتزييناً لطريق الحق، وتحذيرا وتنفيرا من سبل الغواية والضلال.

- عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: جَمَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَامِلَهُ فَنَكَتَهُنَّ فِي الْأَرْضِ فَقَالَ: "هَذَا ابْنُ آدَمَ" وَقَالَ بِيَدِهِ خَلْفَ ذَلِكَ، قَالَ: "وَهَذَا أَجَلُهُ" قَالَ: وَأَوْمَأَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ: "وَثَمَّ أَمَلُهُ" ثَلَاثَ مِرَارٍ[٤].

---

١. أبو داود، ٣٩٨/٢، وأخرجه البخاري ومسلم وابن ماجه.

٢. أحمد بن حنبل، المسند، ٢٥٧/٤.

٣. الأنعام: ١٥٣

٤. أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ٣٨١/١.

– وعَنْ عَبْدِ اللهِ رَضي الله عَنْه قال: خَطَّ النبيُّ ﷺ خطًّا مُرَبَّعاً، وَخَطَّ خطًّا في الوسَطِ خارِجاً مِنْهُ، وخَطَّ خُطَوطاً صِغاراً إلى هذا الذي في الوَسَطِ، مِنْ جانبِه الذي في الوَسطِ، وقال: **"هذا الإنْسانُ، وهذا أجُلُهُ مُحيطٌ بِهِ، أو قد أحاطَ به، وهذا الذي هُو خارجٌ أملُهُ، وهذه الخُطوط الصِّغارُ: الأعْراضُ، فإنْ أَخْطأهُ هذا نَهَشَهُ هذا، وإنْ أَخْطأَهُ هذا نَهَشَهُ هذا**[1]".

جاءت الإشارات النبوية لترسم الخط البياني للإنسان: (واقعه، وأجله، وأمله) في هذه الحياة بطريقة توضيحية مبسطة قائمة على الحسية المدركة بسهولة، من غير لبس أو عناء. وقد أوضحت تلك الإشارات أن الإنسان محصور بين أجله وأمله، وأن الأجل يخترم الأمل على غير موعد أو حين متوقع.

٩– إشارته ﷺ بكلتا يديه:

– عَنْ أَبِى ذَرٍّ رضي الله عنه؛ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرَّةِ الْمَدِينَةِ عِشَاءً، وَنَحْنُ نَنْظُرُ إِلَى أُحُدٍ. فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: " يَا أَبَا ذَرٍّ" قَالَ: قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: **"مَا أُحِبُّ أَنَّ أُحُدًا ذَاكَ عِنْدِي ذَهَبٌ، أَمْسَى ثَالِثَةً عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ، إلا دِينَارًا أُرْصِدُهُ لِدَيْنٍ، إلا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللهِ، هَكَذَا (حَثَا بَيْنَ يَدَيْهِ) وَهَكَذَا (عَن يمِينِهِ) وَهَكَذَا (عَنْ شِمَالِهِ)**[2]".

– وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:**"إِنَّ الْمُكْثِرِينَ هُمْ الْأَرْذَلُونَ إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا"** قَالَ: كَامِلٌ بِيَدِهِ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ[3].

---

[1]. محمد ناصر الدين الألباني، مُخْتَصَر صَحِيحُ الإِمَامِ البُخَارِي، ١٣٨/٢. وفتح الباري: ٢٣٧/١١ــ ٢٣٨.

[2]. القاضي عياض، شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ المُسَمَّى (إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم)، تحقيق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٩هــ –١٩٩٨م، ط١ ٥٠٣/٣.

[3]. أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ٧٠/١٤.

قوله: (إِلَّا من قَالَ بِالْمَالِ هَكَذَا وَهَكَذَا) مَعْنَاهُ: إلاَّ من صرَّف المال على النَّاس لقضاء حوائجهم وإعمار مصالحهم يَمِينا وَشَمَالًا، وأماماً. وَقَالَ هُنَا: لَيْسَ من القَوْل، بِمَعْنى الْكَلَام، بل مَعْنَاهُ: صرَّف أَو فرَّق أَو أعْطى، وَنَحْو ذَلِك؛ لِأَن الْعَرَب تجْعَل القَوْل عبارَة عَن جَمِيع الْأَفْعَال وتطلقه على غير الْكَلَام، وَاللِّسَان، فَتَقول: قَالَ بِيَدِهِ، أَي: أَخذه، وَقَالَ بِرجلِهِ أَي: مَشى[١]، قَالَ الشَّاعِر[٢]:

وَقَالَت لَهُ العينان سمعا وَطَاعَة

فإشاراته ﷺ المتعددة بكلتا يديه في جهات مختلفة تدل على أهمية الموضوع الذي يعالجه، وخطورة اكتناز المال وعدم تصريفه في مصالح المسلمين، وتبيين فضيلة إنفاقه في جوانب وطرق الخير المتعددة. وهذا التكثيف الإشاري من شأنه السعي الحثيث والتحشيد لتكوين قناعات وغرسها في نفوس المتلقين؛ ليتفاعلوا في الإعطاء والإنفاق وليجعلوا المال دولة بينهم ويترلون حبه من نفوسهم إلى تصريفه وتداوله بأيديهم.

ـــ عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أن النبي ﷺ أشار بيده نحو اليمن فقال: إن الإيمان هاهنا، وإن القسوة وغلظ القلوب في الفدادين حيث يطلع قرن الشيطان في ربيعة ومضر[٣].

إشارته ﷺ نحو اليمن تحديد مكاني له دلالته في توضيح الجهة التي يستقر فيها الإيمان، من غير تحديد لطبيعة البشر الذين هم فيها، فكأنها موئل للإيمان، وبه يُحكم لمن استقر فيها، وفي هذا دلالة واضحة وبليغة على أن اليمن موطن للإيمان ويكتسب

---

[١]. محمود بن أحمد العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار إحياء التراث العربي –٢٢٩/١٢.

[٢]. تاج العروس من جواهر القاموس المرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين دار الهداية ٢٩٩/٣٠.

[٣]. أبو القاسم ابن عساكر، معجم الشيوخ، تحقيق: الدكتورة وفاء تقي الدين، دمشق، دار البشائر، (١٤٢١هـ –٢٠٠٠م)، ط١، ٦٢٩/٢.

هذه الخاصية كل من سكنها. بينما ربط القسوة والغلظة بأناس من البشر أكثر من ربطهما بالمكان والجهة تتسع شرقا باتساع المسافات الطويلة.

– وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ، فَقَالَ: **"يُفْتَحُ بَابٌ هَاهُنَا فَيَنْشُوا بِهِ نَشْوًا، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، ثُمَّ أَشَارَ بِيَدِهِ قِبَلَ الْمَغْرِبِ"**[١].

فهذه الإشارات من الرسول ﷺ تحدد الجهات (ها هنا) اليمن والمدينة و(ربيعة ومضر) المشرق. وسمى المغرب مصحوبا بالإشارة لينبه من وراء ذلك إلى أمور وأحداث ستظهر وأخطرها من جهة المشرق، وجاءت الأحداث تظهرها مما يدل على صدق النبوة.

– عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"لاَ يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ أَذَانُ بِلاَلٍ مِنْ سَحُورِهِ، فَإِنَّهُ يُؤَذِّنُ أَوْ قَالَ يُنَادِي لِيُرْجِعَ قَائِمَكُمْ، وَيُنَبِّهَ نَائِمَكُمْ، وَلَيْسَ الفَجْرُ أَنْ يَقُولَ هَكَذَا – وَجَمَعَ يَحْيَى كَفَّيْهِ – حَتَّى يَقُولَ هَكَذَا" وَمَدَّ يَحْيَى إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَتَيْنِ**[٢].

فالإشارة هنا دلت على توضيح وتصحيح توقيت الصبح بمفهومه المقتبس من انبلاج الصباح قال تعالى[٣] : ﴿**حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر**﴾.

---

١. أَبُو عُثْمَانَ النَّيْسَابُوْرِيُّ، السابع من فوائد أبي عثمان البحيري، مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية، (٢٠٠٤م)، ط١ ص ١٢.

٢. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ٨٧/٩.

٣. البقرة من الآية ١٨٧.

ثانيا: لغة انفعالات الرأس:

تتجلى وظيفة الحركة للرأس من باب قناة الاتصال للسائل وإبداء الإصغاء إليه فيما يتطلبه خطاب المواجهة. والناظر لحركات الرأس عند الرسول ﷺ بتمعن سيلحظ الحرص على إبراز التفاعل بين التواصلين: اللفظي وغير اللفظي مما يكون له أثر على وجه الرسول ﷺ بدلالات تفصح عما يكمن في النفس من حالات: رضى أو غضب، وانزعاج وعدم رضى، يبرز ذلك بوضوح من خلال: احمرار الوجه وتلونه وتمعره، أو من خلال انبساطه وتهلله وإشراقه، أو غير ذلك من تعبيراته الدالة على حالاته المتعددة. ومما عرف عنه ﷺ، أنه "..إِذَا غَضِبَ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ، وَإِذَا فَرِحَ غَضَّ طَرْفَهُ. وجُلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمُ[1].

وتكاد تنحصر لغة التواصل بالرأس عند النبي ﷺ بالتعبيرات الانفعالية التي تفصح عنها قسمات وجهه الشريف: إشراقاً واستنارة عند الرضا، وحمرة وتمعراً عند الغضب والتوجس أو عدم الرضا. ولم يستعمل عينيه في شيء من ذلك؛ وقد علله ﷺ بأنه "ما كان لنبي أن يكون له خائنة أعين[2]". ولأن الأحاديث الواردة في تمعر وجهه ﷺ واحمراره وتغيره أكثر من التي وردت في إشراقة وجهه ﷺ واستنارته، فسنبدأ بالإشارة إليها.

١- تمعر وجهه ﷺ واحمراره:

بعد التتبع والاستقصاء وجدنا أن تمعر وجهه ﷺ واحمراره وتغيره يكون معبراً عن أمور، أهمها: الغضب، أو عدم الرضا، أو الإشفاق والتوجس، وقد يكون نتيجة الجهد الذي يعانيه، كما هو عند نزول الوحي، ومن شواهد ذلك الآتي:

---

[1]. القاضي عياض، الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، (ت: ٥٤٤هـ)، حاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمني (ت: ٨٧٣هـ)، دار الفكر (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م)١/١٥٨.

[2]. رواه أبو داوود والنسائي من حديث مصعب بن سعد عن أبيه، تفسير أحمد عطية ٩/٢٨٣.

- حديث زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ ﷺ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺعَنْ اللُّقَطَةِ، قَالَ: **"عَرِّفْهَا سَنَةً، فَإِنْ جَاءَ أَحَدٌ يُخْبِرُكَ بِعِفَاصِهَا، وَوِكَائِهَا، وَإِلَّا فَاسْتَنْفِعْ بِهَا"**. **وَسَأَلَهُ عَنْ ضَالَّةِ الإِبِلِ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُهُ، وَقَالَ: "مَا لَكَ وَلَهَا؟ مَعَهَا سِقَاؤُهَا وَحِذَاؤُهَا تَرِدُ المَاءَ، وَتَأْكُلُ الشَّجَرَ، دَعْهَا حَتَّى يَجِدَهَا رَبُّهَا**[١]". وفي رواية: فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ، أَوْ قَالَ احْمَرَّ وَجْهُهُ[٢]. ففي هذه المواقف أظهرت قسمات وجه الرسول ﷺ معنى إضافيًّا لم يكن السائل يتوقعه، وهو استنكاره لفهم السائل، وكيف أنه لم يفرق بين المتباينين من الحيوانات (الشاء والإبل)، مع وضوح الفرق بينهما. وقد يكون ثمة دلالة إضافية، وهي الزجر، وكف طمع النفوس عن التساهل والاستمراء في التجرؤ على حقوق الآخرين.

- وجَاءَ نَفَرٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: **"يَا بَنِي تَمِيمٍ أَبْشِرُوا" قَالُوا: بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ ﷺ**..الحديث[٣].

فكان تغير وجهه ﷺ دالاً على استيائه من طريقة ردهم الدالة على قصر فهمهم، وهبوط همتهم المنحصرة في لعاعة الدنيا، وغلظة مخاطبتهم رسول الله ﷺ، واقتران ذلك بالعجلة المفهومة من فاء التعقيب. وهو ﷺ بهذا يرشد من حضر الموقف أو بلغه لأن يكونوا طموحين، ترنو أنفسهم لمعالي الأمور، وتترفع عن توافهها.

- وعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَامَ عَلَى البَابِ، فَلَمْ يَدْخُلْهُ، قالت: فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الكَرَاهِيَةَ[٤].

---

١. محمد بن إسماعيل البخاري، ١٢٧/٣.

٢. السابق، ٣٠/١.

٣. صحيح البخاري محمد بن إسماعيل، ١٠٥/٤.

٤. السابق ، ٦٣/٣.

ملامح وجهه ﷺ أظهرت لعائشة رضي الله عنها بوضوح لا لبس معه عدم رضاه عن التصاوير التي على النمرقة.

– عن أبي هريرة ﷺ، قال : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،وبعض الصحابة يتنازعون فِي القَدَرِ فَغَضِبَ حَتَّى أحْمَرَّ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّمَا فُقِئَ فِي وَجْنَتَيْهِ الرُّمَّانُ، فَقَالَ: **"أَبِهَذَا أُمِرْتُمْ؟ أَمْ بِهَذَا أُرْسِلْتُ إِلَيْكُمْ؟ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حِينَ تَنَازَعُوا فِي هَذَا الأَمْرِ، عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَتَنَازَعُوا فِيهِ..**[1]".

كان تباحث الصحابة ﷺ في أمر القدر أمرا مُغضبا للرسول؛ مما جعل الاحمرار يبرز بشكل لافت للعيان على وجنتيه الشريفتين، فأردف لغة الإشارة الصامتة البارزة على وجنتيه الشريفتين باللغة المنطوقة (**أَبِهَذَا أُمِرْتُمْ؟ أَمْ بِهَذَا أُرْسِلْتُ إِلَيْكُمْ**)؟ وهي لغة إنشائية بدأها بهمزة الاستفهام للدلالة على شدة إنكاره التباحث في الأمر الغيبي الذي هو سِرٌّ لم يأمرنا الله بالخوض فيه. وقد جاء تقديم المجرور لزيادة الاهتمام بعدم الخوض في الأمور الغيبية، ثم أكَّد ذلك بأن أقسم عليهم ألا يخوضوا فيه مرة أخرى.

– وحدث أن ارتفعت أصوات الصحابة بالمراء حول آية، فخرجَ عليهم رسولُ الله ﷺ مُغْضَباً، قدِ احمرَّ وَجْهُهُ، يَرْميهم بالتُّراب، ويقولُ: **"مَهْلاً يا قوم! بهذا أُهْلِكَتِ الأمَمُ من قَبْلِكم، باختِلافهم على أنْبيائِهم، وضَرْبِهم الكُتُبَ بعضَها ببَعْضٍ، إنَّ القرآنَ لَمْ يَنْزِلْ يُكَذِّب بعضُه بَعْضاً، بَلْ يُصَدِّقُ بعضُه بَعْضاً، فَما عَرَفْتُم منه فاعمَلوا به، وَما جَهِلْتم منه؛ فرُدُّوهُ إلى عالِمِهِ**[2]".

---

[1]. محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي (١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م) ، ط٢، ٤٤٨/٤.

[2]. عبد الله بن يوسف الجديع، العقيدة السلفية، دار الإمام مالك، دار الصميعي، للنشر والتوزيع، (١٤١٦هـ –١٩٩٥م) ط٢، ص ٣٦.

إن مراء الصحابة واختلافهم ليمثل أمرا غير مرضٍ للرسول ﷺ مما جعله يخرج عليهم وهو غاضب لفعلهم؛ ولشدة غضبه لم يكتفِ باللغة الصامتة، بل مارس فعلا عمليا لم يكن يمارسه معهم، وهو رميهم بالتراب زجرا لهم وتحذيرا وتخويفا من أن يحل بهم من الهلاك ما حل بمن قبلهم؛ وذلك ليتوقفوا عن المراء والجدل والخوض فيما هم فيه، ثم أرشدهم أن ما أشكل عليهم يرجعونه إلى أولي العلم.

– وفي حديث الأعرابي لَّما قال: (..**فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ، وَنَسْتَشْفِعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ**..) تغير وجه الرسول ﷺ حتى تغيرت وجوه أصحابه من شدة تغير وجهه ﷺ، غيرة وغضباً لكونه تنقص الله جل وعلا بهذه الكلمة؛ التي جاءته من فهمه الناقص والمغلوط فقد جعل منزلة الله ـــ عز وجل ـــ مساوية لمنزلة الرسول مما أغضبه ﷺ، وقد كان إذا انتهكت محارم الله يغضب، ولا أحد يقوم لغضبه صلوات الله وسلامه عليه[1].

– عن عبدالله ﷺ قال: "قسَم النبي ﷺ قسْماً، فقال رجل: إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله، فأتيت النبي ﷺ، فأخبرته، فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه، ثم قال: "**يرحم الله موسى، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر**[2]".

مما يفهم من هذا النص شدة غضب رسول الله ﷺ حتى ظهرت أمارات ذلك على وجهه؛ لأن هذا اتهام له ﷺ في عدالته، غير أنه كتم غيظه وصبر معتبراً مما حدث لموسى عليه السلام، وكان يواجه ذلك بالصبر والتحمل من قومه.

– وسرقت امْرَأَةٌ مخزومية فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَفَزِعَ قَوْمُهَا إِلَى أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ يَسْتَشْفِعُونَهُ، قَالَ عُرْوَةُ: فَلَمَّا كَلَّمَهُ أُسَامَةُ فِيهَا، تَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: "**أَتُكَلِّمُنِي فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ**[1]".

---

[1]. سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، ٢٣٢.

[2]. صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، (٤٥٦/٢).

محل الشاهد تلون وجه رسول الله ﷺ؛ غضباً واستنكاراً لصنيع أسامة، وشفاعته ألا يقام حد من حدود الله على المرأة التي سرقت، وتضعيف الفعل (تلوَّن) بقوة بنائه دل على قوة الغضب وشدة الإنكار.

والخلاصة أن الغضب في الأنساق السالفة كان نتيجة أمور عظيمة؛ لذلك كان احمرار وجهه ﷺ وتغيره أبلغ دلالة في الزجر القوي عن تلك المثيرات من اللغة المنطوقة، فلحظة التأثر الآني تجاهها يفوق التعبير اللفظي، فهو قد يحتمل النهي كراهة أو تتريهاً، لكن الاحمرار غضباً في سياق الرفض لا يحتمل إلا الزجر القوي، والنهي القاطع، والوعيد الشديد.

– وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا رَأَى مَخِيلَةً تَغَيَّرَ وَجْهُهُ، وَدَخَلَ وَخَرَجَ، وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فَإِذَا أَمْطَرَتْ سُرِّيَ عَنْهُ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ:" **مَا أَمِنْتُ أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ.. الآية﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ(٢)﴾** (٣).

كان تغير وجهه ﷺ في هذا النسق رهبة وتوجساً من أن يحل بأمته عذاب حل بأمة سابقة؛ وباعث هذا منه ﷺ زيادة خشيته لربه، وعدم أمنه لمكره، وحرصه وخوفه على أمته.

---

١. السابق، (١٥١/٥).

٢. [الأحقاف: ٢٤]

٣. عبد الرزاق الصنعاني، تفسير عبد الرزاق، دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٩هـ)، ط١، ٢٥٤/٢.

– أَوَّل رَجُلٍ قُطِعَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ سَرَقَ، فأُتِيَ بِهِ نَبِيَّ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: **"اذْهَبُوا بِصَاحِبِكُمْ فَاقْطَعُوهُ" وَكَأَنَّمَا أُسِفَّ وَجْهُ نَبِيِّ اللهِ ﷺ رَمَادًا، ثُمَّ أَشَارَ بِيَدِهِ يُخْفِيهِ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: كَأَنَّ هَذَا شَقَّ عَلَيْكَ**[١].

كأن تغير وجهه ﷺ هنا جاء استياء وشفقة معاً: استياء من حصول السرقة، وشفقة من قطع اليد، لكنه نفذ حد الله فيه رغم ذلك، وقد يكون ذلك بسبب استيائه من حصول السرقة من أحد أبناء أمته.

– عن عبادة بن الصامت قال: كنا جلوسا عند النبي ﷺ إذِ احمرَّ وجهه، وكان يفعل ذلك إذا نزل عليه الوحي، فأخذه كهيئة الغَشْي لما يجد من ثِقَل ذلك، فلما أفاق قال: "خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلا: البكران يجلدان وينفيان سنة، والثيبان يجلدان ويرجمان[٢]".

– وأتى قومٌ من مضر جياعاً إلى النبي ﷺ وهو في مسجده، قد أثر فيهم الجوع فلما رآهم عليه ﷺ تغير وجهه؛ لِما رأى بهم من فقر وحاجة وجوع، فلمح النبي ﷺ ولم يصرح حفاظاً على شعور القوم، فعرف أحد أصحابه في وجهه الغضب والتغير؛ فقام إلى بيته فأتى بما عنده من طعام وملبس وخبز، ووضعه على النطع بين يدي النبي ﷺ، فلما رأى الصحابة تهلّل وجهِ النبي ﷺ بصنيع صاحبهم قام كل منهم إلى بيته فأتى بما عنده، فوضعه في النطع وحملوه حتى كادت أيديهم أن تكل.. الحديث[٣]).

---

١. البيهقي أبو بكر، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية (١٤٢٤ هـ -٢٠٠٣م) ط٣ ٥٧٥/٨.

٢. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م) ط١، ٧٩/٨.

٣. أبو الأشبال حسن الزهيري، شرح كتاب الإبانة من أصول الديانة، ٧/٨.

– في هذا الحديث شاهدان أولهما (تغير وجهه ﷺ) استياء من غير أن ينطق بتأثره من حالة أولئك القوم الذين يظهر عليهم الإعياء والفاقة والحاجة للطعام واللباس؛ مما أشعر ذلك الصحابي من خلال رؤيته تغير وجه النبي ﷺ – من غير دلالة منطوقة– لرقته لحالهم مما حدا بهذا الصحابي للإسراع في إحضار ما عنده من طعام وغيره، الأمر الذي غير قسمات وجه النبي ﷺ من غضب واستياء إلى إشراق واستنارة، وهو ما حفز البقية أن يقتدوا به فيأتون بما عندهم، فكانت ملامح وجهه ﷺ (تغير، وتهلل)لغتين صامتتين أوصلتا فكرتيه اللتين يريد إيصالهما إلى الحاضرين بأقوى إبلاغ، من غير تكلم أو أمر أو ندب.

في السياقات الثلاثة المذكورة أخيراً، كان احمرار وجه النبي ﷺ وتغيره تعبيراً عن حالات نفسية متعددة: ما بين الرحمة والرهبة والجهد، وليس فيها شيء من دلالات الزجر والنهي والوعيد التي رأيناها في سياقات الأحاديث السابقة على هذه.

٢– استنارة وجهه ﷺ :

أسلفنا أنه ﷺ إذا وجد أو سمع ما يسره أشرق وجهه واستنار حتى كأنه فلقة قمر، ومما ورد من ذلك:

– عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ في حديث مرض النبي ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا الْمُسْلِمُونَ فِي صَلاَةِ الفَجْرِ لَمْ يَفْجَأْهُمْ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَشَفَ سِتْرَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ صُفُوفٌ، فَتَبَسَّمَ يَضْحَكُ[1].

[1]. السابق، ١/١٥١.

تبسمه ﷺ في هذا الموقف دل على إعجابه من انتظام المصلين في الصفوف، وعبَّر عن الارتياح الذي خامره ﷺ حين رأى منظرهم الباعث على الارتياح، مما أشعره بنجاح دعوته، وبعث في نفسه الاطمئنان على مستقبل الدين واستقراره.

- وعن كَعْب بن مَالِكٍ ﷺ، يُحَدِّثُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ تَبُوكَ بعد ـــ أن تاب الله عليه وصاحبيه ـــــ قَالَ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ[1]".

بروق وجه رسول الله ﷺ كان فرحاً بأن تاب الله على كعب وصاحبيه والفعل (يبرق)فيه لمعان وإضاءة منبئان بقوة فرح الرسولﷺ بما أُنزل بشأن الثلاثة ﷺ من توبة، ثم يتصاعد الاستبشار بظهور الاستنارة على وجه الرسول ﷺ العلامة المميزة والبارزة على وجهه عندما يسر ويفرح.

- وجاء حبرٌ من أحبار اليهود إلى رسول الله ﷺ، فقال له: إذا كان يوم القيامة جعل الله السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع ثم يهزهن. ثم يقول: أنا الملك أنا الملك "قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ، ضحك حتى بدت نواجذه تعجباً مما قال، وتصديقاً له[2]، ثم قرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3].

---

[1]. السابق، ١٨٩/٤.

[2]. صحيح البخاري، كتاب التوحيد؛ حديث رقم (٧٤١٤)

[3]. الزمر: ٦٧.

محل الشاهد هنا (ضحك حتى بدت نواجذه) حيث إن الحبر اليهودي وضح ورسخ فكرة ربما كانت غائبة عن أذهان بعض السامعين وهي قدرة الله المطلقة للتصرف في هذا الكون، فكان ضحك الرسول ﷺ أكثر إيضاحا وأقوى إبلاغا مما لو تكلم لدلالة ضحكه على إعجابه بما سمعه من الحبر وتيقنه بصدقه.

- وعَنْ أَبي سَعيدٍ الخُدْريِّ قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ "تكُونُ الأرْضُ يَوْمَ القيامَةِ خُبْزَةً واحِدَةً، يَتَكَفَّؤُها الجَبَّارُ بَيدِهِ، كما يَكْفَأُ أحَدُكُم خُبْزَتَهُ في السَّفَرِ، نُزُلاً لأهْلِ الجَنَّة". فأتَى رَجُلٌ مِنَ اليهُودِ، فَقَالَ: بَارَكَ الرَّحْمَنُ عَلَيْكَ يا أبا القَاسِمِ! ألا أُخبِرُكَ بِنُزُلِ أهلِ الجَنَّة يَوْمَ القيامَةِ؟ قالَ: "بَلىَ"، قَالَ: تَكُونُ الأرْضُ خُبْزَةً واحِدَةً، كَمَا قال النبيُّ ﷺ فَنَظَرَ النبيُّ ﷺ إلَيْنَا، ثُمَّ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَواجِذُهُ، ثُمَّ قالَ: ألاَ أخْبِرُكَ بإدَامِهِم؟ قَالَ: إدَامُهُمْ بالامٌ ونُونٌ، قَالُوا: ومَا هَذا؟ قَالَ: ثَورٌ ونُونٌ، يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةِ كَبِدِهِما سَبْعُونَ أَلْفًا [1].

كان ضحك النبي ﷺ سروراً بموافقة ما ذكره اليهودي لما ذكره هو ﷺ وتقريراً له، وجاءت مبالغته ﷺ في الضحك على خلاف عادته زيادة في السرور؛ لما يشكل هذا القول من زيادة غرس اليقين في نفوس أصحابه ﷺ أن جاء التصديق من عدو مخالف، والحق ما شهدت به الأعداء.

[1]. محمد الألباني، مُخْتَصَر صَحِيحُ الإِمَامِ البُخَارِي، ١٥٩/٤.

خاتمة البحث واستنتاجاته: ونوجز ذلك في النقاط الآتية:

١. الإشارة تعد قسما لا يستهان به من أقسام الخطاب، يعول عليها في استيعاب مدلولات النص المتعددة، ونجد مصداق ذلك في الأحاديث النبوية.

٢. تعد الإشارات الحركية الإيمائية أغنى أدوات التواصل بين الناس بعد اللسان، وهي هكذا عند الرسول ﷺ لسرعة إيصالها المعنى المراد بيسر وسهولة.

٣. حين تأتي الإشارة في محلها تكون معينة على الإفهام، لافتة للنظر، طاردة للشرود الذهني، مشركة أكثر من حاسَّة في المتابعة؛ لأن المخاطب يرى الإشارة ويسمع العبارة، اللتين تذكِّر كلٌّ منهما بالأخرى.

٤. الإشارة تحكي الموقف، وتنقل المتلقين إلى أجواء الحدث، وتجعلهم يعايشون اللحظة، فترتسم في مخيلاتهم تفاصيل القصة كلها مترابطة الأجزاء، وليس اللحظة موضع الإشارة فقط.

٥. من الوظائف التي قامت بها الإشارة في الخطاب النبوي: تقريب المعنى إلى ذهن المتلقي بطريقة واضحة، أو الإسراع والاختصار، أو إزالة اللبس من احتمال أي معنى آخر، وأحيانا وردت للتعليم، أو إيصال الخطاب بصورته المرجوة.

٦. الأحاديث التي جاءت إشارة اليد فيها كانت أكثر حضوراً في أنماط الخطاب التواصلي غير اللفظي عنده ﷺ؛ لما لها من تأثير بليغ، وقيمة تواصلية إضافية في توضيح المعنى، وتأكيد الدلالات.

٧. تنحصر لغة التواصل بالرأس عند النبي ﷺ بالتعبيرات الانفعالية التي تفصح عنها قسمات وجهه الشريف: تمعرا واحمرارا في حالات الغضب وعدم الرضا، أو الإشفاق والتوجس، أو نتيجة جهد يعانيه، واستنارة وإشراقا في حال الرضا والموافقة.

قائمة المراجع

١. إبراهيم بن علي الأنصاري (ت٤٥٣هـ) زهر الآداب وثمر الألباب، بيروت، دار الجيل (د ـ ت).

٢, ابن رجب، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود، وآخرون، المدينة المنورة، مكتبة الغرباء الأثرية – مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة، (١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م) ط,١

٣. أبو الأشبال حسن الزهيري، شرح كتاب الإبانة من أصول الديانة، دروس صوتية.

٤, أبو الفداء إسماعيل الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م)، ط,٢

٥. أبو الفداء، جامع المسانيد والسُّنَن الهادي لأقوم سَنَن تحقيق: د عبد الملك بن عبد الله الدهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (١٤١٩هـ ـ١٩٩٨م) ط,٢

٦, أبو القاسم الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله الحسيني، دار الحرمين – القاهرة (د.ت)

٧. أبو القاسم بن عساكر، معجم الشيوخ، تحقيق: الدكتورة وفاء تقي الدين، دمشق، دار البشائر (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م) ط,١

٨, أبو بكر البيهقي، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٢٤ هـ -٢٠٠٣م) ط,٣

٩. أبو بكر العتكي، مسند البزار، البحر الزخار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون، مكتبة العلوم والحكم –المدينة المنورة، (١٩٨٨هـ ـ ٢٠٠٩م) ط,١

١٠, أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط – محمد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، (١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م) ط,١

١١. أبو داود الطيالسي (ت:٢٠٤ه) مسند أبي داود الطيالسي، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، مصر، دار هجر، (١٤١٩هـ ـ١٩٩٩م)ط١.

١٢, أَبُو عُثْمَانَ النَّيْسَابُوْرِيُّ، السابع من فوائد أبي عثمان البحيري، مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية، (٢٠٠٤م) ط,١

١٣. أبو نعيم الأصبهاني، المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، لبنان ــ بيروت، دار الكتب العلمية بيروت (١٤١٧هـ ــ ١٩٩٦م) ، ط,١

١٤, أبو يعلى (ت ٣٠٧ه) مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، د مشق، دار المأمون للتراث (١٤١٠هـ ــــ١٩٨٤م) ط,١

١٥. أحمد الكوراني الشافعي(ت:٨٩٣ه)، تحقيق الشيخ أحمد عزو عناية دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م) ط,١

١٦. أحمد بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ترقيم وتبويب محمد فؤاد عبد الباقي، إخراج وتصحيح محب الدين الخطيب، تعليق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، بيروت، دار المعرفة،١٣٧٩ه (د.ت).

١٧, أحمد بن حجر العسقلاني، إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة تحقيق: مركز خدمة السنة والسيرة، بإشراف د. زهير بن ناصر الناصر، المدينة، مجمع الملك فهد (١٤١٥هـ ــ١٩٩٤م) ط,١

١٨. أحمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار الحديث، (١٤١٢هـ ١٩٩١م) ط,١

١٩, أحمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط -عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة (١٤٢١هـ ــــ ٢٠٠١م) ط,١

٢٠. أحمد ياسوف، جماليات المفردة القرآنية، دار المكتبي، (١٤١٩هـ ــــ ١٩٩٩م)ط,٢

٢١, أرشيف ملتقى أهل الحديث – ٤، تم تحميله في المحرم (١٤٣٢هـ ــ ديسمبر٢٠١٠م.)

٢٢, إسحاق بن راهويه، مسند إسحاق بن راهويه، تحقيق: د. عبدالغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان -المدينة المنورة، (١٤١٢هـ ١٩٩١م) ط,١

٢٣, أميمة بدر الدين بلاغة القسم في الحديث النبوي الشريف مجلة جامعة دمشق، مجلد ٢٦، العدد: ٣ و,٤

٢٤, بيير جيرو، ترجمة منذر عياشي، دمشق، دار طلاس(١٩٩٢م) ط,٢

٢٥, ترنس موكس وآخرون، البنيوية وعلم الإشارة، بغداد، وزارة الشؤون الثقافية، (١٩٨٦م) ط,١

٢٦. ديوان ذي الرمة، تحقيق عبد الرحمن المصطاوي، بيروت، دار المعرفة، (١٤١٧هـ ٢٠٠٦م) ط,١

٢٧, زكريا الأنصاري، منحة الباري شرح صحيح البخاري المسمى «تحفة الباري»، (ت: ٩٢٦ هـ) عني به وحققه وعلق عليه سليمان بن دريع العازمي، الرياض، مكتبة الرشد (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م) ط,١

٢٨. سليمان بن الأشعث، سنن أبي أبو داوود، تحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد بيروت ـ صيدا، المكتبة العصرية.

٢٩, شمس الدين الكرماني، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، محمد الكرماني (ت: ٧٨٦هـ) بيروت دار إحياء التراث العربي، (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) ط,٢

٣٠. عبد الجبار، صهيب، الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، ٢٠١٤م.

٣١, عبد الله بن يوسف الجديع، العقيدة السلفية في كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية، دار الإمام مالك، دار الصميعي، للنشر والتوزيع، (١٤١٦هـ-١٩٩٥م) ط,٢

٣٢. عبد الوهاب سليمان بن عبد الله، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، (١٤٢٣هـ ـ٢٠٠٢م) ط,١

٣٣, عبدالرحمن بو درع، كتاب الأمة، قراءة نصية في بلاغة القرآن و الحديث، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م) العدد:,١٥٤

٣٤. عبدالرزاق الصنعاني، تفسير عبد الرزاق، دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٤١٩هـ،) ط,١

٣٥, عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، (١٩٩٠م)ط,٤

٣٦. عمر بن أبي ربيعة، شرح ديوانه. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. دار الأندلس. بيروت. دار الجيل (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م) ط ,٢

٣٧, عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: محمد عبد السلام، لبنان بيروت، دار الجيل (دـــ ت).

٣٨, فاطمة محجوب، دراسات في علم اللغة، القاهرة دار النهضة العربية،١٩٧٦م.

٣٩, فردينان ديسوسور، علم اللغة العام، ترجمة، د. يوئيل يوسف عزيز، مراجعة، د مالك المطلبي، بغداد(١٩٨٥م) ط,٥

٤٠, القاضي عياض اليحصبي (ت: ٥٤٤هـــ)، الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، أحمد بن محمد بن محمد الشمتي (ت: ٨٧٣هـــ)، دار الفكر، ١٤٠٩هـــ ـــــ١٩٨٨م)

٤١. القاضي عياض بن موسى السبتي، شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ، المُسَمَّى (إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم) تحقيق: الدكتور يَحْيَى إِسْمَاعِيل، مصر، دار الوفاء، (١٤١٩هـــ - ١٩٩٨م) ط,١

٤٢, لاشين موسى شاهين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، دار الشروق، (١٤٢٣هـــ ٢٠٠٢م) ط,١

٤٣. مالك بن أنس الأصبحي، موطأ الإمام مالك، تحقيق: بشار عواد معروف - محمود خليل، مؤسسة الرسالة(١٤١٢هـــ).

٤٤, محمد الصباغ، التصوير الفني في الحديث النبوي، بيروت، المكتب الإسلامي، (١٤٠٩هـــ ـــــ١٩٨٨م)طـــ,١

٤٥. محمد بن إبراهيم الشافعي، إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، تحقيق: وهبي سليمان غاوجي الألباني، مصر، دار السلام للطباعة والنشر – (١٤١٠هـــ ـــــ ١٩٩٠م) ط,١

٤٦, محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، (١٤٢٢هـــ) ط,١

٤٧. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (١٤٢٠هـــ ـــ٢٠٠٠م) ط١.

٤٨, محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط,١

٤٩. محمَّدُ بنُ عزِّ الدِّينِ الحنفي، شرح مصابيح السنة للإمام البغوي، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، إدارة الثقافة الإسلامية،١٤٣٣هـــ ٢٠١٢) ط,١

٥٠. محمد بن علي الشوكاني(١٢٥٠ه) نيل الأوطار، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، مصر، دار الحديث ١٤١٣ه ـــــــــ١٩٩٣ م) ط١.
٥١. محمد بن علي بن القاضي التهانوي (ت: بعد ١١٥٨هـــ)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون – (١٩٩٦م) ط,١
٥٢. محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، أبو عيسى، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي (١٣٩٥هـــ ـــ١٩٧٥م) ط,٢
٥٣. محمد بن محمد أبو يعلى، الاعتقاد، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار أطلس الخضراء، (١٤٢٣هـــ-٢٠٠٢م) ط,١
٥٤. محمد بن محمد المختار الشنقيطي، شرح زاد المستقنع، الرياض، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، (١٤٢٨ه ـــــ ٢٠٠٧م) ط١.
٥٥. محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، (١٤١٤هـــ) ط,٣
٥٦. محمد مرتضى الزبيدي (ت ـــــ ١٢٠٥ه) تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.
٥٧. محمد ناصر الدين الألباني، الأجوبة النافعة عن أسئلة لجنة مسجد الجامعة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، (١٤١٧ هـــ - ١٩٩٦م)ط.١
٥٨. محمد ناصر الدين الألباني، مُخْتَصَر صَحِيحُ الإِمَامِ البُخَارِي مكتَبة المَعارف للنَّشْر والتوزيع، الرياض، (١٤٢٣هـــ -٢٠٠٢م) ط,١
٥٩. محمود بن أحمد العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت. دار إحياء التراث، (د.ت).
٦٠. مسلم بن الحجاج النيسابوري، المسند الصحيح المختصر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي (دـــــ ت).
٦١. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية الدكتور إبراهيم أنيس وآخرون، لبنان ـــ بيروت، دار الأمواج (١٤٠٧هـــ ـــ ١٩٨٧م) ط٢.